

## الاستجابة والإعراض في القرآن الكريم

إعداد

ناصر فياض محمد جالولي

إشراف

د. خضر سوندك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2013م

## الاستجابة والإعراض في القرآن الكريم

إعداد

ناصر فياض محمد جالولي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 29 / 1 / 2013م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:

1- الدكتور خضر سوندك

/ مشرفاً ورئيساً

2- الدكتور إسماعيل نواهضة / متحناً خارجياً

3- الدكتور محسن الخالدي / متحناً داخلياً

التوقيع



.....

.....

## الإهداء

إلى حبيبي وقرّة عيني، إلى خير الأنام، ومصباح الظلام، إلى الرحمة المهداة، إلى خير البشرية، إلى المعلم الأول.

"رسول الله صلى الله عليه وسلم"

إلى نبع العطاء وفيض الحنان أُمّي الغالية.

إلى روح والدي العزيز – رحمه الله تعالى –

إلى الأستاذ الدكتور الفاضل: د خضر سونديك حفظه الله ورعاه، المشرف على رسالتي، الذي قدم لي النصح والإرشاد والتعليم.

إلى جميع المحاضرين في كلية الشريعة، حفظهم الله ورعاهم، وعلى رأسهم الدكتور الفاضل: عودة عبدالله، الدكتور سميح الخالدي، الدكتور خالد علوان.

إلى من تحمل معي أعباء هذه الدراسة، وبذل من أجلي الغالي والنفيس شيخي ومعلمي الفاضل: محمد سليم الغول "أبو الأرقم" حفظه الله ورعاه.

إلى مشايخي جميعاً لهم مني كل التقدير والاحترام .

إلى زوجتي الغالية "أم عبيدة" حفظها الله.

إلى فلذات كبدي:

إسراء، إيمان، أبرار، آية، عبيدة، عمر .

إلى إخواني وأحبائي في الله.

إلى زملائي في كلية الشريعة.

إلى أشقائي وشقيقاتي جميعاً.

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع.

## الشكر والتقدير

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، له الحمد في الأولى وفي الآخرة ، فاني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساهم في إتمام هذا العمل واطح بالذكر

الدكتور " خضر سوندك " أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية لتفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، ولما أبداه من حسن النصح ، وتوجيهه ، وقد كان لتوصياته الدور البارز في إثراء هذا العمل ، وإخراجه بهذه الصورة ، جعله الله في ميزان حسناته ، ونفع الله بعلمه .

كما أتقدم بالشكر والامتنان والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة: الدكتور خضر سوندك مشرفاً ورئيساً، الدكتور إسماعيل نواهضة ممتحناً خارجياً، الدكتور محسن الخالدي ممتحناً داخلياً

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى الدكتور " عودة عبد الله " على توجيهاته ونصائحه الطيبة .

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى جامعة النجاح الوطنية ، ممثلة بكلية الشريعة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع المحاضرين في كلية الشريعة، الذين يقومون على خدمة هذا العلم الشرعي العظيم .

## الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان الآتي:

### الاستجابة والإعراض في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يُقدم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

### Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

**Student's Name:**

اسم الطالب:

**Signature:**

التوقيع:

**Date:**

التاريخ:

## فهرس المحتويات

ت	الإهداء
ث	الشكر والتقدير
ج	الإقرار
ح	فهرس المحتويات
ذ	الملخص
1	المقدمة
11	<b>الفصل الأول : مفهوم الاستجابة والإعراض:</b>
12	المبحث الأول: الاستجابة في اللغة وفي الاصطلاح
12	المطلب الأول: الاستجابة في اللغة
13	المطلب الثاني: الاستجابة في الاصطلاح
14	المبحث الثاني: الإعراض في اللغة وفي الاصطلاح
14	المطلب الأول الإعراض في اللغة
14	المطلب الثاني: الإعراض في الاصطلاح
16	المبحث الثالث: الاستجابة في الاستعمال الشرعي
16	المطلب الأول: الاستجابة بمعنى الإيمان
18	المطلب الثاني: الاستجابة بمعنى العمل الصالح
23	المطلب الثالث: الاستجابة بمعنى السمع والطاعة
28	<b>الفصل الثاني : حكم الاستجابة والإعراض و صفات المستجيبين</b>
29	المبحث الأول: حكم الاستجابة والإعراض
31	المبحث الثاني صفات المستجيبين
32	المطلب الأول: التواضع
35	المطلب الثاني: التسامح
38	المطلب الثالث: العطاء
43	<b>الفصل الثالث الاستجابة في السياق القرآني</b>
44	المبحث الأول أنواع الاستجابة

44 48	المطلب الأول: الاستجابة العامة للدعوة إلى الله الاستجابة في تطبيق أحكام الله عز وجل
50	المبحث الثاني: صور الاستجابة
50	المطلب الأول: تحقيق طاعة الله سبحانه وتعالى
53	المطلب الثاني: الطمع في تحصيل الخير
54	المطلب الثالث: الحب لله ولرسوله وللمسلمين
55	المبحث الثالث: آثار الاستجابة وفوائدها في الدنيا والآخرة المطلب الأول: آثار الاستجابة في الدنيا
56	الفرع الأول: الطمأنينة والاستقرار
57	الفرع الثاني: البركة في الرزق وكثرة النعم والخيرات
60	الفرع الثالث: الاستعلاء للمسلم
61	الفرع الرابع: رسوخ الإيمان واستقراره في القلب
63	المطلب الثاني: آثار الاستجابة في الآخرة
63	الفرع الأول: (رضا المولى تبارك وتعالى)
66	الفرع الثاني: الخلود في جنات النعيم
70	الفرع الثالث: الحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومع من أحب في الدنيا من المتقين
73	المبحث الرابع: نماذج قرآنية من المستجيبين
74	المطلب الأول: استجابة قوم يونس عليه السلام
77	المطلب الثاني: استجابة بلقيس ملكة سبأ
79	المطلب الثالث: استجابة أمة محمد عليه الصلاة والسلام
82	الفصل الرابع الإعراض في السياق القرآني
82	المبحث الأول: أسباب الإعراض
82	المطلب الأول: الكبر
83	المطلب الثاني: حب الدنيا
85	المطلب الثالث: عدم الاحتكام لشرع الله

87	المطلب الرابع: عدم الامتثال لتوجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام والامتثال للمشركين
89	المبحث الثاني: صور الإعراض المذمومة والممدوحة
89	من صور الإعراض المذمومة
90	المطلب الأول: الإعراض عن الطاعات
90	المطلب الثاني: الإعراض عن الوعظ والإرشاد
90	المطلب الثالث: الإعراض عن الحساب
90	المطلب الرابع: الإعراض عن آيات الله في الكون
91	المطلب الخامس: الإعراض عن ذكر الله، عن الحق، عن النبا العظيم
91	من صور الإعراض الممدوحة
91	المطلب الأول: الإعراض عن المشركين
92	المطلب الثاني: الإعراض عن اللغو
92	المبحث الثالث نماذج من بعض المعرضين
93	المطلب الأول: إعراض قوم لوط عليه السلام
94	المطلب الثاني: إعراض فرعون وقومه
98	المطلب الثالث: إعراض بني إسرائيل (اليهود)
102	المبحث الرابع: آثار الإعراض في الدنيا والآخرة
102	المطلب الأول: آثار الإعراض في الدنيا
102	الفرع الأول: الضنك والشقاء والفوضى
104	الفرع الثاني: تسلط الأمم الأخرى على الأمة الإسلامية



105	الفرع الثالث: الهلاك
106	الفرع الرابع: زوال النعم
108	الفرع الخامس: انتشار الخوف والجوع
111	المطلب الثاني: آثار الإعراض في الآخرة
112	الفرع الأول: النسيان للمعرض
114	الفرع الثاني: عذابهم في نار جهنم
115	المبحث الخامس: طرق علاج الإعراض
115	المطلب الأول: الإخلاص في نية التوبة
116	المطلب الثاني: الإصغاء لتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم
119	المطلب الثالث: طرق معالجة الإعراض عن الدين
119	المطلب الرابع: طرق معالجة المعرض عن الطاعات من أهل الدين:
121	الخاتمة
123	قائمة المصادر والمراجع
b	<b>Abstract</b>

# الاستجابة والإعراض في القرآن الكريم

إعداد

ناصر فياض محمد جالولي

إشراف

الدكتور خضر سوندك

## الملخص

تبحث هذه الدراسة في موضوع الاستجابة والإعراض في القرآن الكريم، من خلال آيات القرآن الكريم.

وقد قُسمت إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة، كان الحديث في المقدمة عن أهمية هذه الدراسة وإبراز قيمتها من خلال الحديث عن الاستجابة ومالها من أثر في الحياة الدنيا، ومنزلة رفيعة عند الله يوم القيامة.

والتحذير من الإعراض وسوء عاقبته في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

أما الفصل الأول فقد كان الحديث فيه عن مفهوم الاستجابة والإعراض في اللغة والاصطلاح، أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه حكم الاستجابة والإعراض، وكان عنوان الفصل الثالث الاستجابة في السياق القرآني، ومن ثم يليه الفصل الرابع بعنوان الإعراض في الساق القرآني. وقد كان المرجع في هذه الدراسة كتاب الله سبحانه وتعالى، ومن ثم كتب التفسير والحديث والأخلاق. وتضمنت الخاتمة عدداً من النتائج أهمها:

- 1- الاستجابة حكمها واجب.
- 2- الأخلاق الحميدة تتولد من خلال الاستجابة لله سبحانه وتعالى.
- 3- الاستجابة أنواع.
- 4- للإعراض صور محمودة وأخرى ممدوحة .
- 5- بينت الدراسة أسباب الإعراض – مثل الكبر، حب الدنيا.
- 6- وضحت الدراسة نتائج الإعراض وآثاره في الدنيا والآخرة.





2. ما هي الأسباب التي أدت إلى سرعة استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام لدين الله سبحانه وتعالى؟

3. هل وضع القرآن حلولاً عملية لمعالجة الإعراض؟

4. ما هي عوامل استجابة المعرضين في القرآن الكريم؟

5. كيف يمكن التوفيق بين لين القلوب وسرعة الاستجابة؟

### سبب اختياري لهذا للموضوع

اخترت هذا الموضوع لحبي أولاً للاستجابة لأمر الله في كل ما أمر، وعدم الإعراض عن أمره. وحبي للدعوة لدين الله عز وجل:

ولأن الاستجابة هي من أساسيات هذا الدين الحنيف.

ولأنه من خلال الاستجابة ينير الله سبحانه بصيرتك فتستطيع أن تقوم بواجبك الدعوي لنشر الدين وتثبيت أركانه.

ولما أراه من كثرة الإعراض عن أمر الله سبحانه وتعالى، وانشغال الناس بأمور الدنيا وشهواتها وملذاتها، والتتكّر للأخرة وجنتها ونعيمها.

لذلك كان لا بد من استنباط المنهج القرآني في معالجة الإعراض.

خوفاً وخشية على هذه الأمة أن يحل بها ما قد حل بغيرها من الأمم التي سلكت سبيل الإعراض عن أمر الله سبحانه وتعالى.

### منهجية الدراسة

1 - المنهج الاستقرائي: وذلك باستقراء الآيات القرآنية التي تتحدث عن الاستجابة والإعراض عن أمر الله سبحانه وتعالى.

2 - تطبيق منهجية التفسير الموضوعي، من حيث جمع النصوص ذات العلاقة وترتيبها موضوعياً، والربط فيما بينها.

3- الرجوع إلى أمهات كتب التفسير، وكتب شروح الحديث للوقوف على المعنى الدقيق للنصوص.

4- توثيق المراجع التوثيق المتعارف عليه في البحث العلمي، بحيث يكون توثيقاً كاملاً عند أول ذكر له، ثم الاكتفاء باسم مؤلف الكتاب والجزء والصفحة إذا ورد مرة أخرى.

### خطوات تحقيق المنهج

1- سألخص في نهاية كل مطلب المعاني التي ذكرها المفسرون حول الآيات ذات الصلة، وسأبين أهمية تلك المعاني، وضرورة الاعتناء بها.

2- تخريج الأحاديث من مظانها الأصلية.

3- الترجمة للأعلام الذين يرد ذكرهم في الرسالة.

### 4- الدراسات السابقة

بعد البحث والتتقيب والاطلاع على الدراسات السابقة، فقد وجدت الكثير ممن كتب حول هذا الموضوع، لتعم الفائدة وينتشر الخير، وتتحقق المصلحة، وننال الأجر والخير بإذن الله سبحانه وتعالى.

ولما كان هذا الموضوع من موضوعات القرآن الكريم وكان بإمكانني الاستفادة من كنوز كتب التفسير القديمة والحديثة مثل: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير الظلال، وتفسير الكشاف، وتفسير السعدي، وغيرها الكثير الكثير.

وأحببت أن يكون هذا الموضوع أساسياً من خلال رسالتي هذه، لما لهذا الموضوع من مكانة في عقيدتي، ومستقراً في وجداني، ورسوخاً في قلبي.  
وممن كتب في هذا الموضوع:

1. الإمام الطبري: الذي تناول في تفسيره الآيات التي تحدثت عن الاستجابة وأيضاً الآيات التي

تحدثت عن الإعراض خاصة في سورة سبأ، ج12\ ص96-97.<sup>(1)</sup>

---

(1) الطبري: محمد بن جرير بن زيد بن خالد. جامع البيان عند تأويل أي القرآن، دار الفكر: بيروت. 1405 هـ.

2. ابن الجوزي: ذكر في كتابه قصة أحد الصحابة رضوان الله عليهم (ذو البجادين) كيف فضل الإسلام واللحوق بالرسول ﷺ على متاع الدنيا الزائل ونعيمها الذي كان يعيشه في كنف عمه<sup>(2)</sup>
3. الطالبة بان عماد عبود: رسالة ماجستير ( الاستجابة في القرآن الكريم دراسة موضوعية) نوقشت الرسالة بتاريخ 2011/9/28 الجامعة العراقية.
4. الطالبة ألاء جهاد فوزي صالح، رسالة ماجستير بعنوان الإعراض ونظائره في القرآن الكريم "دراسة موضوعية" كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية – غزة (1431هـ – 2010م).
5. الطالب رضوان علي عبد الله: ( آيات الاستجابة في القرآن الكريم .دراسة وتحليل) نوقشت بتاريخ 2007 جامعة صنعاء.
6. الطالب وائل خليل أبو عرقوب: (أدب الإعراض في القرآن الكريم) رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية ونوقشت يوم الثلاثاء بتاريخ 2012/3/6 م.
7. آيات الإعراض وما يقاربه في القرآن الكريم (تفسير موضوعي) رسالة ماجستير للباحث حسام الدين محمد بنو سلامة، الأردن آل البيت كلية الدراسات الفقهية والقانونية، سنة 2003م.
8. سعيد العفاني: في كتابه الرائع رهبان الليل، حيث جاء بنماذج حيه ورائعة، عن حقيقة الاستجابة والانصياع لأمر الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال الاستجابته التي كان يتمتع بها الصحابه رضوان الله عليهم<sup>(1)</sup>.

### خطة البحث

تضمنت خطة البحث بعد المقدمة أربعة فصول، في كل فصل منها مباحث، ويتفرع عن بعض المباحث مطالب فرعية، وذلك على النحو التالي:

### الفصل الأول: مفهوم الاستجابة والإعراض

وفيه ثلاثة مباحث:

(2) ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج: صفوة الصفوة، دار المعرفة: بيروت، لبنان، ط3، ج1، 1405هـ -1985م.ص676.

(1) العفاني : سيد بن حسين، . رهبان الليل، مكتبة معاذ بن جبل،1423هـ-2002م ، ط11، ج1، ص68.

المبحث الأول: الاستجابة في اللغة وفي الاصطلاح

المطلب الأول: الاستجابة في اللغة:

المطلب الثاني: الاستجابة في الاصطلاح

المبحث الثاني: الإعراض في اللغة وفي الاصطلاح

المطلب الأول: الإعراض في اللغة

المطلب الثاني: الإعراض في الاصطلاح

المبحث الثالث: الاستجابة في الاستعمال الشرعي

المطلب الأول: الاستجابة بمعنى الأيمان

المطلب الثاني: الاستجابة بمعنى العمل

المطلب الثالث: الاستجابة بمعنى السمع والطاعة

الفصل الثاني: حكم الاستجابة والإعراض

المبحث الأول: حكم الاستجابة والإعراض

المبحث الثاني: صفات المستجيبين

المطلب الأول: التواضع

المطلب الثاني: التسامح

المطلب الثالث: العطاء

الفصل الثالث:

الاستجابة في السياق القرآني



المبحث الأول: أنواع الاستجابة

المطلب الأول: الاستجابة العامة للدعوة إلى الله

المطلب الثاني: الاستجابة في تطبيق أحكام الله عز وجل

المبحث الثاني: أسباب الاستجابة

المطلب الأول: تحقيق طاعة الله سبحانه وتعالى

المطلب الثاني: الطمع في تحصيل الخير

المطلب الثالث: الحب لله ولرسوله وللمسلمين

المبحث الثالث: آثار الاستجابة وفوائدها في الدنيا والآخرة

المطلب الأول: آثار الاستجابة في الدنيا

الفرع الأول: الطمأنينة والاستقرار

الفرع الثاني: البركة في الرزق وكثرة النعم والخيرات

الفرع الثالث: الاستعلاء للمسلم

الفرع الرابع: رسوخ الإيمان واستقراره في القلب

المطلب الثاني: آثار الاستجابة في الآخرة

الفرع الأول: رضا المولى تبارك وتعالى

الفرع الثاني: الخلود في جنات النعيم

الفرع الثالث: الحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومع من

أحببت في الدنيا من المتقين

المبحث الرابع: نماذج قرآنية من المستجيبين

المطلب الأول: استجابة قوم يونس عليه السلام

المطلب الثاني: استجابة بلقيس ملكة سبأ

المطلب الثالث: استجابة أمة محمد عليه الصلاة والسلام

الفصل الرابع

الإعراض في ا لسياق القرآني

المبحث الأول: أسباب الإعراض

المطلب الأول: الكبير

المطلب الثاني: حب الدنيا

المطلب الثالث: عدم الاحتكام لشرع الله

المطلب الرابع: عدم الامتثال لتوجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام، والامتثال للمشركين

المبحث الثاني : صور الإعراض المذمومة والممدوحة

من صور الإعراض المذمومة

المطلب الأول: الإعراض عن الطاعات

المطلب الثاني: الإعراض عن الوعظ والإرشاد

المطلب الثالث: الإعراض عن الحساب

المطلب الرابع: الإعراض عن ذكر الله، عن الحق، عن النبأ العظيم

المطلب الخامس: الإعراض عن آيات الله في الكون

من صور الإعراض الممدوحة

المطلب الأول: الإعراض عن المشركين

المطلب الثاني: الإعراض عن اللغو

المبحث الثالث: نماذج من بعض المعرضين

المطلب الأول: إعراض قوم لوط عليه السلام

المطلب الثاني: إعراض فرعون وقومه

المطلب الثالث: إعراض بني إسرائيل (اليهود)

المبحث الرابع: آثار الإعراض في الدنيا والآخرة

المطلب الأول: آثار الإعراض في الدنيا

الفرع الأول: الضنك والشقاء والفوضى

الفرع الثاني: تسلط الأمم الأخرى على الأمة الإسلامية

الفرع الثالث: الهلاك

الفرع الرابع: زوال النعم

الفرع الخامس: انتشار الخوف والجوع

المطلب الثاني: آثار الإعراض في الآخرة

الفرع الأول: النسيان للمعرض

الفرع الثاني: عذابهم في نار جهنم

المبحث الخامس: طرق علاج الإعراض

المطلب الأول: الإخلاص في نية التوبة

المطلب الثاني: الإصغاء لتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث: طرق معالجة الإعراض عن الدين

المطلب الرابع: طرق معالجة المعرض عن الطاعات من أهل الدين:

## الفصل الأول

### مفهوم الاستجابة والإعراض

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستجابة في اللغة وفي الاصطلاح

المبحث الثاني: الإعراض في اللغة وفي الاصطلاح

المبحث الثالث: الاستجابة في الاستعمال الشرعي

# المبحث الأول

## الاستجابة في اللغة وفي الاصطلاح

### المطلب الأول: الاستجابة في اللغة

تأتي الاستجابة في اللغة على عدة معان منها:

"يرى الزبيدي بأن الإجابة والاستجابة بمعنى واحد يقال: استجاب الله دعاءه"<sup>(1)</sup>، وأما الإمام الرازي - رحمه الله تعالى - فيرى بأن الاستجابة تطلق على: "المجاوبة والتجاوب والتحاور، وجاب فرق وقطع"<sup>(2)</sup>. ومنه قوله سبحانه: ﴿ J I H G F ﴾<sup>(3)</sup>

وقال سبحانه ﴿ ن Ä Å Ä Ã Â Á ﴾ <sup>(4)</sup> .

قال ابن منظور - رحمه الله تعالى -: "يقال إنها التلبية والمصدر الإجابة"<sup>(5)</sup>.

"وجابه واستجوبه: استجاب له، والاستجابة: طلب الموافقة للإجابة"<sup>(6)</sup>.

ومن هنا فالاستجابة تدور حول معاني المجاوبة والتجاوب والتحاور والتلبية والإجابة.

---

(1) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (206/2)

(2) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت 721هـ) مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت (1415هـ - 1995)، تحقيق: محمد خاطر، ج 1، ص 49.

(3) سورة الفجر - آية 9.

(4) سورة البقرة - آية 186.

(5) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط 1، ج 1، ص 283.

(6) العز بن عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز السلمى (ت 660هـ)، تفسير القرآن، اختصار النكت، دار ابن حزم - بيروت (1416هـ - 1996م)، ط 1، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ج 1، ص 192.

## المطلب الثاني: الاستجابة في الاصطلاح

تأتي الاستجابة في الاصطلاح بعدة معانٍ منها:

الاستجابة هي: الإجابة وحقيقتها هي التحرّي للجواب والتهيؤ له، لكن عبّر به عن الإجابة لقلّة انفكاكها منها. (1)

قال تعالى: ﴿ ۝۱۰ ۝۱۱ ۝۱۲ ۝۱۳ ۝۱۴ ۝۱۵ ۝۱۶ ۝۱۷ ۝۱۸ ۝۱۹ ۝۲۰ ﴾ (2)

الاستجابة هي: القبول، والفرق بينها وبين الجواب: أن الجواب قد يكون قبولاً وقد لا يكون قبولاً، وقوله سبحانه ﴿ ۝۲۱ ۝۲۲ ۝۲۳ ۝۲۴ ۝۲۵ ۝۲۶ ۝۲۷ ۝۲۸ ﴾ (3)

ونلاحظ أنّ الآية الكريمة ربطت بين الاستجابة والسمع، وقد يأتي السماع بمعنيين كما يقول الماوردي: "أحدهما: يعني الذين يعقلون، قاله الكلبيّ.

والثاني: الذين يسمعون طلباً للحقّ، لأنّ الاستجابة قد تكون من الذين يسمعون طلباً للحقّ، فأما من لا يسمع أو يسمع لكن لا يقصد طلب الحقّ، فلا يكون منه استجابة. (4)

ويرى الباحث أن هذه المعاني جميعها تدور حول معنى واحد: هو التلبية الفورية لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بكلّ تسليم ورضا، وعدم التلكؤ والتأخير في تنفيذ الأمر وتطبيقه، لأنّ الإنسان السوي بفطرته يبحث عن الحق للاستجابة له.

فالاستجابة هي الانصياع والإصغاء لأمر الله، الذي يتمثل بالخضوع والاستسلام والانقياد له سبحانه وتعالى.

إنها الاستجابة التي تعني أنه ما من أمرٍ أمرَ الله به إلا وأنت تقول سمعنا وأطعنا تلبيةً والتزاماً.

(1) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، ج1، ص102.

(2) سورة الأنفال، آية 24.

(3) سورة الأنعام، آية 36.

(4) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ) النكت والعيون، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج2، ص109.

## المبحث الثاني الإعراض في اللغة وفي الاصطلاح

### المطلب الأول الإعراض في اللغة

يأتي الإعراض في اللغة على عدة معانٍ منها:

الصد عن الشيء: الصد عنه، وأعرض الشيء: جعله عريضاً<sup>(1)</sup>.

وأعرض لفلان: إذا جن، وأعرض لك الشيء: إذا أمكنك من عرضه.<sup>(2)</sup> وعارضته بالكتاب: إذا

عارضت كتابك بكتابه.<sup>(3)</sup> ' وصد عنه وأصدده: صرفه'.<sup>(4)</sup>

ويرى الباحث أن معاني الإعراض تدور حول: الصد والانصراف عن الشيء.

### المطلب الثاني: الإعراض في الاصطلاح

يأتي الإعراض في الاصطلاح على عدة معانٍ، وهي على النحو التالي:

الإعراض: الانصراف عن الشيء بالقلب.

وكذلك الإعراض: أن توطي الشيء عرضك أي جانبك ولا تُقبل عليه<sup>(5)</sup>.

الإعراض: هو حدوث وتغيير وتحول من حال إلى حال.<sup>(6)</sup>

الإعراض: هو أن تولي الشيء عرضك أي جانبك ولا تُقبل عليه.<sup>(7)</sup>

---

(1) الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت721هـ)، مختار الصحاح، ج1، ص178

(2) الزمخشري: أبو قاسم محمود بن عمر بن الخوارزمي(ت538هـ) أساس البلاغة، دار الفكر - بيروت(1399 - 1979)، ج1، ص414.

(3) الفراهيدي: الخليل بن أحمد(ت173هـ - 789م)، العين، دار ومكتبة الهلال تحقيق: المهدي المخزومي - د. إبراهيم السامرائي، ج1، ص237.

(4) ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت458هـ) المحكم والمحيط الأعظم(دار الكتب العلمية - بيروت(2000هـ)، ط1، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ج8، ص261.

(5) الكفوي، أبو البقاء أيوب موسى بن الحسيني(ت1094هـ)، الكليات، مؤسسة الرسالة - بيروت(1419هـ - 1998م)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ج1، ص28.

(6) ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم الحوراني، (ت728هـ)، مجموع الفتاوى، ج5، ص569.

(7) الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري(ت815هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، دار الصحابة للتراث - مصر(1400هـ - 1992م)، ط1، تحقيق: فتحي أنور الدايلوي، ج1، ص375 - السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز(ت330هـ) غريب القرآن، دار قتيبية(1416هـ - 1995م)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد عمران، ج1، ص111.



وأيضاً: هو الالتفات إلى جهةٍ أخرى، وذلك لا يليق في حقّ الله تعالى، فيكون مجازاً عن السخّط والغضب المُجاز عن إرادة الانتقام.<sup>(1)</sup>

ويظهر لي من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي لمعنى الإعراض أن هذه المعاني جميعها تصبّ في: التولّي عن أمر الله والصدّ عن قوله، وعدم السماع لهذا الكلام" القرآن" والانصراف إلى سبيل الغواية والضلال.

---

<sup>(1)</sup>العينيّ، بدر الدين محمود بن أحمد، (ت 855هـ) عمدة الفارئ بشرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج2، ص 34 - الزرقانيّ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، (ت 1122) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية - بيروت(1411هـ)، ط1، ج4، ص 461.



لأنه لا حياة إلا حياة الإيمان، وبدون ذلك يصبح الإنسان كالأنعام، فالله سبحانه وتعالى وضع طاقة إيمانية في قلوب البشر، فإذا أحسن استخدام هذه الطاقة وفجرها أصبح حياً سعيداً بهذا الإيمان، وإذا لم يحسن استخدام هذه الطاقة، أصبح ميتاً في الحياة الدنيا ولا معنى لوجوده على هذه الأرض.

وهذا ما أشار إليه سبحانه في موضع آخر في كتابه الكريم فقال تعالى:

{ z x w v u t s r q p o n m l k j i h g }  
 ~ } | • (1).

ميتاً في الجهل والكفر والمعاصي، فأصبح حياً بنور الإيمان والهداية، يسير بخطى هُدي إليها من رب العالمين، بعد أن كان غارقاً في الظلام.

إنها حياة القلوب والنفوس، الحياة الإيمانية التي يتذوق طعمها فقط المؤمن الصادق الذي امتلأ قلبه إيماناً ويقيناً صادقاً بربه تبارك وتعالى.

"إن الله تعالى دعاكم إليه طاعته فأجيبوه ووفوا له بما دعاكم إلى تحي قلوبكم به". (2)

كما أن الجسد بحاجة إلى الطعام والشراب فالقلب أيضاً بحاجة إلى الإيمان. قال تعالى:

¾ ½ ¼ » 0 1 ر ة 3 2 ± ° - ® - « }  
 Á À ن

فالمؤمن يحيا بهذا الإيمان الذي ترسخ في قلبه، وأصبح هادياً له في الدنيا للخير بأكمله، وفي الآخرة للجنة والنعيم الدائم .

قال ابن عطاء: "الاستجابة على أربعة أوجه: أولها التوحيد، والثاني: إجابة التحقيق. والثالث: إجابة التسليم. والرابع: إجابة التقريب" (3). لأنه ينبغي عليك أن تستجيب بكل أعضاءك، حتى تشهد لك هذه الأعضاء يوم القيامة.

إجابة الله تعالى هي طاعة أمره، إذا دعاكم لما يُحْيِيكُمْ: "قال السدي: إذا دعاكم إلى الإيمان" (4)

(1) سورة الأنعام - آية 122.

(2) الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي (ت320هـ) الأمان من الكتاب والسنة، دار ابن زيدون - بيروت - دمشق، تحقيق: د السيد الجميلي، ج1، ص308، بتصرف

(3) السلمي، محمد بن حسين بن موسى (ت412هـ) خصائص التفسير، دار الكتب العلمية - بيروت (1421هـ - 2001م)، ط1، تحقيق: سيد عمران، ج1، ص264.

(4) المارودي، علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ)، تفسير المارودي، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج2، ص307.

لأن حياة الإيمان هي حياة السعادة الأبدية، التي لا تحلوا إلا بهذا الإيمان الذي يجعل المرء في غاية الشوق للقاء خالقه عز وجل، ودائم الحيوية والاستعداد للمسابقة بالعمل الصالح لنيل رضا المولى تبارك وتعالى. وقوله تعالى عن حال العبد يوم القيامة ﴿ ! " # \$ ﴾<sup>(1)</sup> يتلهم ابن آدم لأي تقريط حصل منه في الحياة الدنيا، من هذه الأعمال الصالحة التي تورثه بقاءه في نعيم لا انقطاع له. ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن قوله سبحانه ﴿ ± ° - ® - « ﴾

2 3

"فأخبر سبحانه وتعالى أن حياتنا إنما هي باستجابتنا لما يدعونا إليه الله تبارك وتعالى والرسول صلى الله عليه وسلم من العلم والإيمان، فعلم أن موت القلب و هلاكه يفقد ذلك"<sup>(2)</sup>.

"فأخبر سبحانه أن كسبهم غطى على قلوبهم وحال بينهما وبين الإيمان بآياته"<sup>(3)</sup> ثم يبين ربنا تبارك وتعالى أنه قريب من عباده المؤمنين، الذي قادم هذا الإيمان للإستجابة لأمر الله عز وجل، وهو أيضاً سبحانه قريب الإجابة عندما يأتي العبد بأسباب الإجابة، وهي الاستجابة لله تعالى بالإلتقياد لأوامره ونواهيه، والإيمان به الموجب للاستجابة.

قال سبحانه ﴿ ¼ ½ ¾ ن Ä Å Ã Â Á » É È Ê Ë Ì Í ﴾<sup>(4)</sup> "وليؤمنوا بي إذا هم استجابوا لي بالطاعة"<sup>(5)</sup> لأن الاستجابة والإيمان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ونتاجهما الطاعة لله رب العلمين.

" É È إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم"<sup>(6)</sup> لأن الله جلّ وعلا قريب من عباده المخلصين، يستجيب لهم دعاءهم ويفرّج عنهم كُرْبَاتِهِمْ.

(1) سورة الفجر: آية 24.

(2) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان، دار المعرفة - بيروت (1395هـ - 1975م)، ط2، تحقيق: محمد حامد الفقي، ج1، ص22.

(3) ابن القيم، الفوائد، ج1، ص132.

(4) سورة البقرة: آية 186.

(5) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، ص160.

(6) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص255.

يقول الإمام الخازن رحمه الله تعالى: "يدعوهم ربهم إلى الإيمان والطاعة كما انه سيجيبهم لمطالبهم، فالإجابة من العبد الطاعة، ومن الله الإثابة والعطاء. (1) فإذا حصل الإيمان والطاعة تحصل الإجابة من الله سبحانه، فإن الله على العبد طاعة، وللعبد على ربه إذا دعاه بصدق وإخلاص أن يستجيب له.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن الله أمرهم أن يستجيبوا له وأن يؤمنوا به سبحانه، واستجابتهم له وطاعتهم لأمره، وذلك سبب الإثابة، والدعاء سبب الإجابة" (2).

كما نستفيد من الآية الكريمة، كما بيّن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

" أن الله سبحانه قد جمع بين الاستجابة له واتباع أمره، والإيمان به" (3)، فقال سبحانه

﴿ p o n m k j i h g f e d c ﴾ (4)

### المطلب الثاني: الاستجابة بمعنى العمل الصالح

عمل المؤمن الصادق، العمل المتواصل، العمل الصالح الذي يدل على صدق المستجيب تجاه خالقه سبحانه، وصاحبه تجري من تحته الأنهار، في جنات النعيم. تصديقاً لقول الله تعالى:

﴿ G F ED C BA @ > = < ; : 9 8 ﴾ (5)

(5)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ 3 2 ± ° μ ¶ 1 0 » ¼ ½ ¾ Æ ﴾ (6)

أمر الله سبحانه بالعمل الصالح لهذه الأمة، الصالح للإنسان نفسه قَالَ تَعَالَى: ﴿ ā â á à ﴾ (1)

(1) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت725هـ) لباب التاويل في معاني التنزيل، دار الفكر - بيروت (1399هـ - 1979م)، ج1، ص160، بتصرف

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (ت728هـ) - الصدقية، دار الفضيلة - الرياض (1421هـ - 2000م)، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج1، ص223.

(3) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج1، ص24.

(4) سورة الأعراف: آية157.

(5) سورة يونس، آية9.

(6) سورة التوبة، آية105

العمل الصالح الذي قدمته خالصاً لوجه الله، ينفعك يوم القيامة، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

وأن نتاج هذا العمل هو الاستجابة لأمر الله عز وجل، فبمجرد أنك عرفت الطريق وأبصرت نور الهداية واستجبت لخالق الكون، فهذه الاستجابة هي عملٌ تطبيقيٌّ واقعيٌّ في الحياة الدنيا من خلال أعمالك اليومية، وما ينتج عنها من صدق في التعامل وصدق في العمل، تجاه الله وتجاه الناس.

إن الاستجابة تجعل الإنسان المؤمن في تنامٍ وسموٍ ورفقٍ في أخلاقه، وفي أعماله، وفي صفاته وفي علمه. فهو يزداد إيماناً وسمواً وعلماً يوماً بعد يوم. إنه العمل الدؤوب المتواصل المستمر الذي يبرهن على صدق المستجيب، فإنك بمجرد أن نور الله قلبك لأمره وعرفت الحق والحقيقة، فأنت في عمل وجهد لا يستطيع إيقافه أحد من البشر، لأنك تعمل بعون وحفظ ورعاية وتأيد من الخالق سبحانه.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا إن أوشكت هذه الدنيا على الرحيل فأنت في عمل حتى في هذه اللحظات.

قال رسول الله ﷺ "إِن قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيِّدَ أَحَدِكُمْ فَسَيَلَّةٌ فَانِ اسْتَنْطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَفْعَلْ"<sup>(2)</sup>.

ولا يوجد إلا المؤمن الصادق هو الذي يستجيب لهذه الدعوة للعمل طيلة الحياة، فيستحقون بذلك فضلاً من الله تعالى كما قال تعالى:

﴿ u t s r o n m l k j i ﴾<sup>(3)</sup>.

ومعنى ذلك أنه يجيب دعاءهم ويعطيهم الثواب أكثر ما سألوه من المغفرة: "ويزيدهم من فضله" يعني يزيدهم على أعمالهم من الثواب"<sup>(4)</sup>. يثبتهم ربهم تبارك وتعالى على الطاعة في الدنيا، ويزيدهم من الخير والنعيم في الآخرة.

(1) سورة فصلت، آية 46

(2) ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج3، ص191.

الطيالسي، سليمان بن داود البصري، مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة - بيروت، ج1، ص275.

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الأدب الفرد، دار البشائر الإسلامية - بيروت (1989- 1049)، ط3، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - ج1، ص168.

(3) سورة الشورى، آية 26.

(4) السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد، بحر العلوم، ج3، ص231.

فإنه سبحانه يُبينُ من خلال الآية أنه يقبل عبادته، ويستجيب لهم دعاءهم.

قال الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى: " الاستجابة فعلهم فهم يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها"<sup>(1)</sup>. لأن الاستجابة رسخت في أعماق قلوبهم، فلا يسمعون أمراً إلاّ طبقوه بالكلية. فإن الاستجابة تربي العبد المؤمن على الإخلاص والصدق ونقاء الصدر، وهذا ما قاله الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى عندما قال:

"تكون الاستجابة من خلال صدق دعائهم وإخلاص عملهم ونقاء قلوبهم وصفائهم"<sup>(2)</sup>.

لأن الذي صدق في عمله وأخلص في دعائه، فإن الله سبحانه يهديه إلى

"إن الله سبحانه استجاب لكم لأنكم استجبتم له وأكدتم ذلك من خلال عملكم الصادق فجزاكم على أعمالكم خير الجزاء ولم يضع جزاءها لكم"<sup>(3)</sup>.

ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿﴾ ! " # \$ % & ' ( ) \* + , - / 0 1 2 3  
4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B  
C D E F G H I J K L M N ﴿﴾<sup>(4)</sup>.

" الذين آمنوا يستجيبون لله ويزيدهم على إجابتهم والتصديق به من فضله"<sup>(5)</sup>. الذين آمنوا واستجابوا لربهم وجعلوا معنى الاستجابة العمل الخالص الذي يطلبه المولى، وهذا ما بينته السنة النبوية ممثلة بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحْمَ وَيَطْعُمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهُ، قَالَ لَأَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ"<sup>(6)</sup>.  
إنه لا تمايز بين إنسان وإنسان إلا أن يكون أحدهما عاملاً بأمر دينه مستجيباً لأمر ربه.

(1) الزمخشري، محمد بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص227.  
(2) الترمذي نواذر الأصول في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الجبل – بيروت، (1992م) تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ج3، ص202.  
(3) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الشامية - دمشق - بيروت، ط1، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ج1، ص249.  
(4) سورة آل عمران، آية195.  
(5) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج25، ص29.  
(6) مسلم، ، صحيح مسلم، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، حديث رقم(214) ج1، ص196.

قال صلى الله عليه وسلم " إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى " (1). فهذه الأفضلية التي يعامل بها الناس عند خالفهم، لأنه سبحانه هو الحكم العدل، الذي لا يظلم عنده أحد.

يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى: " إن الله تبارك وتعالى لا يُضَيِّعُ عملَ عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفراً (2)".

إن الذي يحقق هذه الاستجابة هو من كان حياً مستفيداً من نعمة السمع التي وهبها الله له كما قال تعالى: ﴿...﴾ ( ' % \$ # " ) ( \* + , ) (3).

"قال مجاهد رحمه الله: عن قول الله سبحانه في هذه الآية: المؤمنون يسمعون الذكر". (4) لأن الذي ينتفع بالذكر هو المؤمن الذي هياً نفسه وقلبه لسماع هذا الذكر العظيم، فأصبحت الموعظة تقع منه موقعها. تصديقاً لقوله تعالى: ﴿... B A @ ? > = ﴾ (5).

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم في مقدمة المستجيبين وبخاصة الأنصار حيث قال سبحانه: ﴿... s r q p o n m l k j i ﴾ (6) نزلت في الأنصار إذ دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته، فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه. (7) إن الله تبارك وتعالى يبسر يسهل أمر المستجيب، الممتثل أمر خالقه.

"الذين استجابوا هم العاملون المتشاورون الذين لا ينفردون برأيي ويجتمعون عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الأمور. (8)

(1) ابن حنبل، ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج5، ص411.  
الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، دار الحرمين - القاهرة (1415هـ-)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ج5، ص86. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح .  
(2) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص162.  
(3) سورة الأنعام آية 36.  
(4) مجاهد، أبو الحجاج بن جبر المخزومي، (ت104هـ) تفسير مجاهد، المنشورات العلمية - بيروت، تحقيق: عبد الرحمن الظاهر - محمد السورتي، ج1، ص214.  
(5) سورة الذاريات - آية 55.  
(6) سورة الشورى، آية38.  
(7) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل، ج4، ص233، بتصرف.  
(8) البيضاوي، ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن محمد الشرازي، (ت791هـ)، تفسير البيضاوي، دار الفكر - بيروت، 1416هـ، 1996م ، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفان ، ج5، ص133.





## المطلب الثالث: الاستجابة بمعنى السمع والطاعة

قال تعالى: ﴿ ٥٦ \$ # " ( ' \* + ) ﴾

إن المستجيب لله سبحانه هو ذلك الإنسان الذي لا يؤمر بأمر إلا ويقول سمعنا وأطعنا، أو بلغه حكم الله، أو رسوله إلا وأظهر الاستسلام الخالص، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٥٠ » ١/٢ ١/٤ (1) É È Ç Æ Ä Ã Â Á À ن ٣/٤

نعم هذا هو قول المؤمن الصادق الذي صدق وأخلص وارتفعت نفسه وإيمانه حتى وصل إلى ما أراده الله له أن يصل، إنها القُربُ من الملك العزيز، فأنت بقدر ما تستجيب وتتصاع بقدر ما يقربك الله منه سبحانه، وبقدر ما يقربك من جنته، وبقدر ما يقربك من أوليائه، وعباده الصالحين الخاشعين. قال سبحانه ﴿ ٥٦ a © § i (2)

إنه يناديك لتتال الجنة، فأنت ما عليك إلا أن تقول لبيك ربي وسعديك، والخير كله بين يديك.

إن المتبع للحق ولصراط الله المستقيم يعقل ويسمع ويبصر، فهو يسير على هدى ونور، فقد فتح الله سمعه وقلبه وبصره لهديته.

إن الله سبحانه يحفظ الذين يريدون الحق ويسيروا على طريق الحق، ويسهل لهم سبحانه الوصول إلى الهدى، أما الذين لا يريدون الحق فيسهل لهم الشيطان سبل الضلال والغواية.

"يعني يطيعك ويصدقك الذين يسمعون منك كلام الهدى والمواعظ". (3)

لأن الذي عنده استعداد لسماع كلام الله وإتباعه فهو في أمن وأمان واطمئنان من الله تعالى.

"إن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا ممن يسمع ويعقل ما يقال له، ويدعى إليه". (4)

لأنه انتفع بهذه النعمة العظيمة التي منحها الله تبارك وتعالى إياه، فجعلها في خدمة هذا الدين العظيم.

(1) سورة النور، آية 51.

(2) سورة الواقعة، آية 10-12.

(3) السمرقندي، بحر العلوم، ج1، ص466.

(4) الجرجاني، عبد القاهر، (ت471هـ)، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي - بيروت، (1415هـ-1995م)، ط1، د. التتجي،

ج1، ص524.

ولأنهم هم الذين يعقلون ويسمعون ويبصرون هذا الكلام الرباني البليغ، فهم يتفكرون ويتدبرون آيات الله سبحانه وتعالى، ولا يمرون عليها صماً وعمياناً، فمجرد أنه فعل ذلك فقد هياً نفسه وقلبه لتقبل ما أمر الله به والاستجابة له.

"إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون" (1) هم أهل السماع وأهل الهداية.  
"والمراد أن من الخلق من جعله الله سامعاً مطيعاً متيقظاً بأول وهلة" (2) لا يترك صغيرة ولا كبيرة لأمر دينه إلا والتقطها، ولا يفعل هذا إلا المؤمن الذي تربح الإيمان في قلبه.

"هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فاننفع به، وأخذ به، وعقله فهو حي القلب حي البصر" (3)  
لأن الحياة هي حياة الإيمان، الذي يزينها ويجملها لتكون أساساً وطريقاً لحياة الخلود، للذين استغلوا نعمة السمع في مرضاة ربهم سبحانه وتعالى، فكانت عوناً لهم، للاستجابة لأمر الله.

"فإن كل عاقل يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع، وكذا قولهم: إنما يجعل من يخشى الفوت" (4)  
فهو يخشى أن يفوته الخير الذي هو بإطاعة أمر الله.

"قال ابن عطاء: أخبر سبحانه بهذه الآية أن أهل السماع هم الأحياء وهم أهل الخطاب

وقال أيضاً: انه لا يستجيب الا من فتح الله سبحانه سمع قلبه بالهداية الأصلية ووهب له الحياة الحقيقية بصفاء الاستعداد ونور الفطرة" (5)

وهذا ما جاء مُبيناً في كتاب الله تبارك وتعالى، فقال سبحانه: ﴿# %\$ & ) \* +﴾ فلا  
ينتفع بهذا القرآن إلا أهل التقوى، الذين هم أهل لهذا الكلام الرباني العظيم.

إن التخلق بالأخلاق الحسنة واجب على كل أحد، وهي الحلم والتواضع والشفقة والنصيحة والإحسان والسخاء والسكينة الذي ينتج من خلال الاستجابة لأمره سبحانه. (6)

(1) الكلبي، محمد بن محمد الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان (1403هـ-1983م)، ط4. (741هـ)، ج2، ص8.

(2) البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، (ت855هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية - بيروت، (1415هـ-1995م)، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ج2، ص582.

(3) السيوطي، الدرر المنتور، دار الفكر - بيروت (1993)، ج3، ص266.

(4) القزويني، الخطيب (ت939هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم - بيروت (1419هـ-1998م)، ط4، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي، ج1، ص122.

(5) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني، ج7، ص165.

(6) البيطار، عبد الرزاق حسين بن إبراهيم (ت1335هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دار صادر — بيروت (1413هـ — 1993م) ط2، تحقيق: محمد بهجت البيطار، ج1، ص413. بتصرف.

" يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إنما يستجيب لدعوتك ويلبي رسالتك وينقاد لأمرك ونهيك الذين يسمعون بقلوبهم، وما ينفعهم وهم أولوا الأبواب والأسماع، الذي هو سماع القلب والاستجابة" (1)

إن المستجيبين لأمر الله هم الذين يمثلون الطاعة لله سبحانه، فيكونون بذلك مشعل هداية لهذه الأمة، وذلك بدعوتهم للخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك مصداقاً وتطبيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ". (2)

وبعد أن يستجيب العبد لربه، فما عليه إلا أن يتوجه إلى ربه تبارك وتعالى، ويطرق بابه، فهو وحده الذي يجيب دعوة العبد، ويعطيه سؤله، مصداقاً لقوله سبحانه:

﴿ ¼ ½ ¾ ن أ آ إ إ أ آ إ إ ﴾ (3)

قال الحسن عن هذه الآية: " قال اعملوا وابتشروا فإنه حق على الله أن يستجيب للذين امنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله". (4)

بشرى لكل مؤمن صادق أنه حق على الله سبحانه أن يستجيب للذين سمعوا قوله وأطاعوا أمره، فهم الذين ينالهم الله برحمته منه ورضوان.

فيجب على العبد المؤمن أن يستغل الأوقات المفضلة التي يستجيب ربنا بها الدعاء، وخاصة في جوف الليل المظلم، فالله وحده هو الذي يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات سبحانه وتعالى.

إن نبي الله داود عليه السلام كان يوقظ أهله ساعة من الليل فيقول يا آل داود قوموا فصلوا فإن هذه الساعة يستجيب الله تعالى فيها الدعاء". (5)

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص255.

(2) الترمذي، محمد بن عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم (2169) دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ج4، ص468.

(3) سورة البقرة، آية 186.

(4) ابن المبارك، أبو عبد الله بن المبارك بن واضح (ت181هـ)، الزهد لأبن المبارك دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ج2، ص18

(5) الضحاك، أحمد بن عمر (ت287هـ) الأحاديث المثاني، دار الراية: الرياض (1411هـ - 1991م)، ط1، تحقيق: د. باسم فيصل الحوييرة، ج3، ص198.

أكد على رواية الضحاك الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى:

" والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات".<sup>(1)</sup>

إنه سبحانه هو مجيب الدعوات، سامع أصوات عباده الذين يسألونه في ساعات الليل، وخاصة الأوقات التي يكون العبد قريباً من ربه سبحانه، فهو وحده الذي يُجيب دعوة المُضطرّ مصداقاً لقوله " ﴿...﴾ " « a » (2)

أن السمع والطاعة الذي حصل منك هو بمثابة استجابة لأمر الله سبحانه، الذي بيده الخير كله،

هو الذي يعطي ولا يعطي غيره، هو وحده الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويكشف عنه الضر والسوء، فالعبد برعاية الله وحفظه، وإذا سأله أعطاه سؤاله، ما دام هذا العبد قد التزم بأمر خالقه وانصاع لكل توجيهاته تبارك وتعالى. ما الذي يريده الخالق لعباده؟ يريد لهم الرحمة والمغفرة ودخول جنته، والفوز برضاه في الدارين، ما إن سمعوا وأطاعوا وساروا على طريق النجاة والفوز طريق الاستجابة.

<sup>(1)</sup> الطحاوي، أبو جعفر (ت339هـ)، متن العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي - بيروت (1398هـ-1978م)، ط1، تحقيق:

محمد ناصر الدين الالباني، ج1، ص56.

<sup>(2)</sup> سورة النمل: آية 62.

## الفصل الثاني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حكم الاستجابة والإعراض

المبحث الثاني: صفات المستجيبين

المبحث الأول: حكم الاستجابة

## المبحث الأول

### حكم الاستجابة والإعراض

الإستجابة لله حكمها واجب والإعراض عنها مخالفة يترتب عليها الضنك والشقاء والعذاب. والاستجابة للشيطان حكمها حرام، فهذا لا يجوز إتباع خطوات الشيطان لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر. ودليل ذلك قوله تعالى:

(1) ﴿f e d c b a ` \_ ^ ] [ ZY XWV UT SR Q ﴾

يُعقب الإمام العمادي على هذه الآية ويقول: "إذا دعاكم إلى الإيمان على لسان نبيه"<sup>(2)</sup>. ويقول الإمام السيوطي أيضاً: "أجيبوه بالتوحيد والعبادة"<sup>(3)</sup>. ويقول في موضع آخر: "أجيبوا ما يدعوكم إليه من الإيمان، وبادروا إلى الطاعة قبل يوم القيامة، وقبل يوم الموت"<sup>(4)</sup>.

" استجبوا لربكم " اي: آمنوا "<sup>(5)</sup> لأن الاستجابة تدعوك إلى الإيمان بهذا الخالق سبحانه.

ودليل الوجوب من السنة ما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عندما قال: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا شعبة قال حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلّى قال كنت أصلي فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه قلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله

" ﴿ ¼ ½ ¼ » 0 1 ، ﷻ ' 3 2 ± ° - ® ¬ « ﴾ " ن Á À .

(1) سورة الشورى: آية 47.

(2) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت951هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ج8، ص368

(3) السيوطي، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر المحلي، محمد بن أحمد، تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، ط1، ج1، ص645.

(4) السيوطي، عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت:910هـ)، أسماء المدلسين، الوكالة العربية للتوزيع والنشر — عمان، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، ج2، ص125.

(5) ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت399هـ)، تفسير ابن زمنين، الفاروق الحديثة - مصر (1423هـ - 2002م) ط1، تحقيق: حسن بن عكاشة، ج4، ص172.

(6) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، (ت263هـ)، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، حديث رقم(4720)، ج4، ص1913.





## المبحث الثاني

### صفات المستجيبين

إذا أردنا أن نتكلم عن الأخلاق الحميدة التي هي صفة من صفات المستجيبين، فما علينا إلا أن ننظر إلى سيد الأولين والآخرين، وصحبه الكرام الذين تربوا في مدرسته، وساروا على نهجه صلى الله عليه وسلم، صاحب الخلق وصاحب المثل العليا، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وتخلق بأخلاق ربه عليه وسلم، حتى مدحه الله بها فقال: ﴿n m l k﴾<sup>(1)</sup>.

وعندما سئلت السيدة عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها سعد بن هشام بن عامر<sup>(2)</sup> يا أم المؤمنين أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: "كان خلقه القرآن"<sup>(3)</sup>.

وما علينا إلا أن نقفدي بسيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدابه وأخلاقه التي ما إن تأدب بها المسلم وتخلق بها إلا وأصبح مصحفاً يذب على الأرض، ونربي أولادنا على هذه الأخلاق السامية التي هي ملازمة وملاصقة للعبد المؤمن الذي خضع وانصاع لأمر الخالق سبحانه.

إن أول من استجاب لأمر ربه من هذه الأمة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ألبسته هذه الاستجابة ثوب الأخلاق الجميل.

فقال سبحانه ﴿n m l k﴾<sup>(4)</sup>.

"الذين دعوا إلى إجابة الله فأجابوه، أولئك أصحاب المثل العليا والأخلاق الحميدة، عندما سمعوا كلام الله، فدعوا إلى إجابة الله وأملوا المغفرة والنجاة من العذاب الأليم"<sup>(5)</sup>.

(1) سورة القلم: آية 4

(2) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري المدني بن عم أنس روى عن أبيه وعائشة وابن عباس وأبي هريرة وسمرة بن جندب وأنس رضي الله عنهم وعنه حميد بن هلال وزرارة بن أبي أوفى وحميد بن عبد الرحمن الحميري والحسن البصري قال النسائي ثقة وذكر البخاري أنه قتل بأرض مكران على أحسن أحواله قلت قال أبو بكر الحازمي مكران بضم الميم بلدة بالهند وقال بن سعد كان ثقة إن شاء الله تعالى وذكره بن حبان في الثقات وقال قتل بأرض مكران غازيا العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت (1404هـ، 1984م) ط1، ج3، ص419.

(3) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج6، ص91.

(4) سورة القلم: آية4.

(5) المحاسبى، الحارث بن أسيد بن عبد الله (ت243هـ) فهم القرآن ومعانيه، دار الكندي - دار الفكر - بيروت (1398هـ)، ط2،

تحقيق: حسين الفونلي، ج1، ص320.

"انظر إلى الصحابة الكرام الذين تربعت الاستجابة على قلوبهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، انظر إلى الأخلاق الحميدة، من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما قال: ما زلنا أعزاء منذ أسلم عمر مع العلم أن عبد الله بن مسعود من أوائل الداخلين في الإسلام"<sup>(1)</sup>. لا ينظرون إلى أي أمر من أمور الدنيا الفانية إنما همم الأوحده هو الطاعة لله والاستجابة لأمره. كيف لا وهم الذين مدحوا في كتاب ربهم سبحانه لعظيم استجابتهم لأمر الله عز وجل.

"إنها الأخلاق عند هؤلاء الصحابة الذين عندما استجابوا لأمر الله، أخذوا العلم من الموالي"<sup>(2)</sup> كيف لا وهم الذين تربوا في مدرسة الحبيب صلى الله عليه وسلم، الذي علمهم فأحسن تعليمهم وأدبهم فأحسن تأديبهم، وجعلهم نموذجاً يُقتدى بهم إلى يوم القيامة رضي الله عن الصحابة جميعاً. "ومن تمام الحسن والأدب أن تسخو نفسك لأخيك، وأن تكون عوناً له في كل شيء"<sup>(3)</sup>.

"عندما وصل خالد بن الوليد رضي الله عنه، ومن معه إلى قادة الروم، وطرحت لهم الكراسي، فلم يجلسوا عليها، إنما جلسوا على الأرض، فقال لهم زعيم الروم، ولمَ لم تستعملوا الأدب معنا، فقال خالد إن الأدب مع الله أفضل من الأدب معكم، وبساط الله أظهر من فرشكم"<sup>(4)</sup>.

ومن بعض آداب الاستجابة لزوم الأدب، ومفارقة الهوى والغضب، والعمل في أسباب التيقظ، واتخاذ الرفق حزباً، والتأني صاحباً، والسلامة كهفاً، والفراغ غنيمَةً، والدنيا مطية، والآخرة منزلاً. وقال الحسن رضي الله عنه: إن الله تعالى لم يجعل للمؤمن راحة دون الجنة.<sup>(5)</sup> هذا وللإستجابة آداب كثيرة نص عليها العلماء وأهل التفسير، وقد تناولتها ضمن المطالب الآتية:

### المطلب الأول: التواضع

التواضع : التذلل . و تواضع الرجل : ذل . ويقال : دخل فلان أمراً فوضعه دخوله فيه فاتضع و تواضعت الأرض : انخفضت عما يليها . .<sup>(6)</sup>

(1) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، (ت458هـ) دلائل النبوة، باب ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ج2، ص215.

(2) الكتاني، عبد الحي (ت1382هـ) التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي - بيروت، ج1، ص73.

(3) ابن المقفع، (ت142هـ) الأدب الكبير، دار ابن حزم - لبنان - بيروت (1414هـ - 1994م)، ط، تحقيق: أحمد باشا، ج1، ص70.

(4) الواقي، أبو عبد الله بن عمر (ت207هـ) فتوح الشام، دار الجبل بيروت، ج1، ص1186.

(5) المحاسبي، الحارث بن اسد بن عبدالله، رسالة المسترشدين، ج1، ص80.

(6) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج8، ص397، الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ج1، ص302.





## المطلب الثاني: التسامح

ومن صفات المستجيبين التسامح.

"تسامح في كذا تساهل، سامحه بكذا وافقه على مطلوبه و بذنبه عفا عنه و يقال في الدعاء سامحك الله.

(سمح ) سمح وسار سيراً سهلاً والشيء جعله لنا سهلاً و يقال سمح الرمح و غيره لينه وثقفه وفلانا ساهله، (تسمح ) فيه تسامح و تكلف السحاحة.

(السماح ) التسامح و التساهل و منه بيع السماح و هو البيع بأقل من الثمن المناسب". (1)

"المسامحة: المساهلة". (2)

التسامح في الاصطلاح :

ويقول الباحث : إن التسامح هو بذل الخير للناس ، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وأن يكون هيناً لنا سهلاً في تعامله مع الآخرين .

إنها صناعة الرجال وأي رجال، هؤلاء الذين صنعهم القرآن العظيم، عندما خضعت نفوسهم وقلوبهم وجوارحهم لقانون ربهم وأحكامه، وأكدوا ذلك من خلال نهج حياتهم، سواءً بأخلاقهم أو بتعاملهم بقولهم أو بفعلهم، فهم تسري بهم روح القرآن العظيم، لأن الذي يصبر على ما يناله من أذى الخلق، ويقابل الإساءة بالإحسان، هذه لا يوفق إليها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، وأصحاب العزائم والهمم. كما قال سبحانه: ﴿ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ ﴾ (3)

إنها الاستجابة التي جاءت بعد صفات أهل الإيمان في سورة الفرقان من اجتناب الفواحش ومن عفو، وصفهم به رب العالمين سبحانه وتعالى. وقال سبحانه ﴿ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠ ﴾ (4)

(1) الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج4، ص200.

(2) مصطفى، إبراهيم – زيات، أحمد، – عبد القادر، حامد – نجار، محمد، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج1، ص447.

(3) سورة الشورى، آية 43.

(4) سورة الفرقان، آية 63.

التسامح الذي لا يتصف به إلا من استقرَّ الإيمانُ في قلبه وذاق حلاوته، فَيَتَرَجَّمُ هذا الإيمانُ فعلاً عملياً على سلوكه، التسامح الذي لا يقدر عليه أي شخص، فكم من الناس من لا يستطيع أن يرد الإساءة إلا بالإساءة، ولا يهتدي للعفو والمسامحة لأنه لم يتربَّ على ذلك، ولم يتأسس على هذا النهج.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ K J I H G F E ﴾<sup>(1)</sup>

يُبَيِّنُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَظَمَ هَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ جَامِعَةٌ لِحَسَنِ الْخَلْقِ مَعَ النَّاسِ، فَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يِعَامَلَ بِهِ النَّاسَ بِالْعَفْوِ وَاللِّينِ وَالْإِحْسَانِ، وَمَا سَهَّلَ عَلَيْهِمُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، فَلَا يَكْلِفُهُمْ مَا لَا تَسْمَحُ بِهِ طَبْعَانِهِمْ، بَلْ يَشْكُرُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، مَا قَابَلَهُ بِهِ، مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ جَمِيلٍ، أَوْ مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ، وَيَتَجَاوَزُ عِنْدَ تَقْصِيرِهِمْ وَيَغْضُ طَرْفَهُ عَنْ نَقْصِهِمْ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَى الصَّغِيرِ لِصِغَرِهِ، وَلَا عَلَى الْكَبِيرِ لِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ.

"ففي أخذ العفو صلة من قطعه، والصفح عن ظلمه، وفي الأمر بالمعروف تقوى الله."<sup>(2)</sup>

لقد جمع سبحانه وتعالى جميع الأخلاق في هذه الآية، لأن الذي يأمر بالمعروف، قد استجاب لأمر ربه وخضع لقوانينه وهذا لا يتأتى إلا إلى أهل الصبر والحلم والتسامح.<sup>(3)</sup>

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما دخل عليه عيينة الفزاري وكان له ابن أخ يقرأ القرآن عند عمر رضي الله عنه فقال: يا ابن الخطاب " والله ما تقسم في العدل ولا تعطي الجزل،

فغضب عمر غضبا شديداً، لكنه عندما ذكر له الآية: ﴿ K J I H G F E ﴾ فخلى عنه عمر وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل.<sup>(4)</sup>

إن استجابته لأمر الله ووقوفه عند آيات الكتاب الكريم، جعلته يتمثل ما في الآيات من أخلاق العفو والصفح والإعراض عن الجاهلين.

(1) سورة الأعراف، آية 199.

(2) الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328هـ) العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي - بيروت (1420هـ - 1999م)، ط2، ج2، ص240.

(3) العسكري، الحسين بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، المكتبة العصرية - بيروت (1406هـ - 1986م)، تحقيق: علي محمد البيجاوي، ج1، ص177، بتصرف.

(4) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل - بيروت (1412هـ -)، ط1، تحقيق: علي محمد البيجاوي، ج3، ص1251.

المتسامح المستجيب لأمر خالقه، يجب أن يكون عنوانه الحلم والتجاوز والعفو الحسن، وأن يكون تعامله معاملة الصفوح الحليم، وأن لا يقابل الإساءة بالمثل، إنما عليه أن يقابلها بالإحسان والمسامحة.

" فاصفح الصفح الجميل فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً، واعف عنهم عفواً حسناً" (1)

فلا بد لهذا التسامح والصفح الجميل أن يُترجمَ واقعاً عملياً في حياتنا، وهذا ما ترجمه هارون الرشيد رضي الله عنه وأرضاه.

"سخط الرشيد على حميد الطوسي (2). فدعا له بالسيف والنطع، فبكى، فقال: ما يبكيك؟ فقال:

والله يا أمير المؤمنين ما أفرع من الموت لأنه لا بدّ لي منه ، وإنما بكيت أسفاً على خروجي من الدنيا وأنت ساخطٌ عليّ ، فضحك وقال : إنّ الكريم إذا خادعته انخدعاً". (3)

وهذا التسامح الذي تربع على قلب هارون الرشيد، إنما استقاه من سنة النبي وفعله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما جاء بيانه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مَالٍ وما زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ " (4).

ومن ثمرات هذا الخلق أن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزاً ورفعةً وإكراماً، وأصبح يرجع إليه في عظام الأمور، ولا يوجد من هو أعز وأرفع وأكرم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، القائد المربي على التسامح وهو إمام المتسامحين.

هذه هي أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم في الصفح والإحسان: تقول السيدة عائشة رضي الله عنها " ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في

(1) الطبري، ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج14، ص51.

(2) حميد بن عبد الله حميد الطوسي، كان خبازاً، مات سنة عشر ومئتين — ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج10، ص220.

(3) أبو حيان، علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ج7، ص122.

(4) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم (2588) ج4، ص2001.

سبيل الله وما ينالُ منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم الله تعالى" (1).

وصفوة القول: أن الداعية الناجح والمربي الفاضل يستخدم في تربيته وتعليمه لطلابه كل ما يثير رغبتهم في التعلّم ويشدّهم إلى تقبّل المعلومات، وذلك بندايات لينة، ومخاطبات تشويقية لها إحصاءاتها المؤثرة على المشاعر، وآثارها المباركة على القلوب، على أن يلتزم المربي حدود الاعتدال والالتزان في كل ما يطرحه ليكون مقبولاً لدى طلابه.

فالواجب على المربي المؤثّر في نفوس مستمعيه أن يكون المثل الأعلى في الملاطفة والمجاملة ليصل إلى النتيجة المرجوة التي يريد الوصول إليها، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" (2).

### المطلب الثالث: العطاء

#### تعريف العطاء:

ويقول الباحث: العطاء هو البذل للوقت والمال في وجوه الخير والعمل الصالح، وهو التعاون الذي أمر الله به المسلمين في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ﴾ (3)

إن شمولية هذا العطاء هو ما يفيد حديث الرسول عليه الصلاة والسلام عندما قال: صلى الله عليه وسلم " من نفس عن مؤمن كربه من كرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كرب الآخرة. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل (1)، باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للأثام واختياره من المباح أسهله وانتقام الله عند انتهاك حرّماته، حديث رقم (2328)، ج4، ص1814.

(2) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، حديث رقم (4811)، ج4، ص255.

(3) سورة المائدة، آية 2



ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" (1).

المسلم أخو المسلم يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، يشعر معه في كل حاله، كما هو حال المجتمع المسلم إذ لا ينفك أفرادهم عن بعض ، لأنهم ربطتهم رابطة الأخوة، التي جعلتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً كما بين صلى الله عليه وسلم وحث على ذلك بقوله،

" إن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه" (2)

العطاء الذي تمثل في هذا الرجل الصديق (أبي بكر) الذي استجاب لأمر الله في إسلامه ودخوله في دين الله، وتمثلت هذه الاستجابة بالعطاء والاستمرار في العطاء على من خاض وأساء في حق أم المؤمنين ، رغم ذلك ظل ينفق عليه ويعطيه من ماله. (3) ونزلت فيه الآية الكريمة وهي قوله تعالى:

[ X WU TS R Q P O NM L K J I H ]  
(4) d c b à \_ ^ ] \

هذا الوضع الذي مر به الصديق رضي الله عنه، ليس بالأمر السهل، ولا يستطيع أن يثبت في هذا الوقت الى صاحب العطاء الثابت الصابر المستمر في عطائه من أجل الخالق سبحانه.

"فقال أبو بكر رضي الله عنه بلى يا رب وعاد إلى مسطح بالنفقة" (5).

إنه العفو والصفح الذي أمر به ربنا، إنه من صفات الصادقين، فكأن الله سبحانه يقول لأبي بكر أنتم أهل السعة والإحسان والصدقة، فلا يليق بحفكم أن تحلفوا أن لا تصلوا قراباتكم من المساكين والمحتاجين، فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك، يغفر الله لك، وكما تصفح

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم(2699) ج4، ص2074.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أبواب المسجد، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث رقم(467)

(3) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت 774 هـ) تفسير القرآن العظيم، ج3، ص277، بتصرف.

(4) سورة النور آية 22.

(5) ابن راهوية، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي (238هـ) مسند إسحاق بن راهوية، مكتبة الأيمان\_ المدينة المنورة(1412هـ\_1991م) ط1، تحقيق: د. عبد الغفور البلوشي، ج2، ص560.

يصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا. وهذا ما أشار إليه الإمام الزمخشري عندما قال: "لا يقصرون في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء، لجنابة اقتترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح، وليفعلوا بهم فعل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم، مع كثرة خطاياهم وذنوبهم".<sup>(1)</sup>

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل وأبدأ بمن تعول"<sup>(2)</sup>

"وقالت الحكماء: القليل من القليل أحمد من الكثير إلى الكثير، وهذا يبين فضل العطاء الذي رسخته إطاعة أمر الله والتزام نهجه"<sup>(3)</sup>.

هذه صفة المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وهذا مدح لفعلهم و عطائهم.  
قال ابن إسحاق: "كان في المدينة محاويج، وكان زين العابدين<sup>(4)</sup>، رضي الله عنه في جنح الليل يحمل على كتفه اليهم جرب الطعام وهم لا يعلمون من هو، حتى مات زين العابدين رضي الله عنه، ففقدوا وعلموا أنه كان يحمل إليهم الطعام".<sup>(5)</sup>

فهذا الذي ترسخ العطاء في قلبه ووجدانه، يبقى راسخاً كالجبال لا يمكن أن يضره شيء بإذن الله تعالى، وهذا ما جاء في كلام الإمام ابن حجر، ناقلاً هذا الإمام القاري رحمه الله تعالى:  
"أي على وفق ما سبق به القضاء والقدر الذي لا يمكن أن يبدل ويغير، فالكيس مثلاً لا يصير بليداً، والسخي لا يصير بخيلاً والشجاع لا يصير جبناً".<sup>(6)</sup>

(1) الزمخشري، الكشاف ج3، ص226.

(2) ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد(ت354هـ) صحيح ابن حبان ترتيب ابن بليان، مؤسسة الرسالة - بيروت(1414هـ - 1993م)، ط2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج8، ص134.

(3) الأندلسي: أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت328هـ)، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي - بيروت(ت1420هـ - 1999م)، ط3، ج1، ص190.

(4) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور قال بن عيينة عن الزهري ما رأيت قرشياً أفضل منه من الثالثة مات سنة ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك - ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1، ص400.

(5) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري(ت213هـ)، السيرة النبوية، دار الجبل - بيروت(1411هـ)، ط1، تحقيق: تحقيق: طه عبد الرزاق سعد، ج4، ص61.

(6) القاري، علي بن سلطان بن محمد(ت1014هـ) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الكتب العلمية - بيروت(1422هـ - 2001م)، ط1، تحقيق: جمال عيتاني، ج1، ص308.



عندما اشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه جارية وزينت له بكى ولم يدخل عليها، وقال: أرجو أن لا أكون من الذين يتوصلون إلى جميع شهواتهم في الدنيا، ودعا شاباً من الأنصار فأهداها له<sup>(1)</sup>.

يؤثر غيره على نفسه، ليرتقي منازل عليا عند رب العالمين.

وسمع رسول الله صلى الله عليه قراءة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقال له: "يا أبا موسى لقد أُوتيتَ مِزْمَارًا من مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ"<sup>(2)</sup>.

يبين هذا الحديث الذي جاء تحت قول الله عزّ وجلّ "قل من حرّم زينة الله" لتعرف أن أكل الخبيص والفواكه وأنواع الحلويات من السكر وغير ذلك مباح، والاكتفاء بما دونه أفضل، فكان تناول هذه النعم رخصة والامتناع عنها عزيمة بهذا الذي بيّنه فعل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(1) الشيباني، محمد بن الحسين (ت189هـ)، الكسب، دار النشر: عبد الهادي حرصوني - دمشق (1400هـ - ) تحقيق: د. سهيل

زكار، ج1، ص102

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حُسنِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ، حديث رقم (4761) ج4، ص1925.

## الفصل الثالث

### الاستجابة في السياق القرآني

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: أنواع الاستجابة

المبحث الثاني: صور الاستجابة

المبحث الثالث: آثار الاستجابة وفوائدها في الدنيا والآخرة

المبحث الرابع: نماذج قرآنية من المستجيبين.

يتناول هذا الفصل ورود الاستجابة في القرآن الكريم، حيث استعمل القرآن الكريم موضوع الاستجابة في أكثر من جانب، سواء ذكر أنواعها، أو أسبابها، أو نتائجها وثمراتها الدنيوية والأخروية.

وفيما يأتي بيان ذلك، أستعرضها من خلال أربعة مباحث وهي:

## المبحث الأول

### أنواع الاستجابة

الاستجابة لها عدة أنواع، والمستجيب لأمر الله يستطيع أن يبرهن على صدق استجابته بعدة طرق، فتطبيقه لأوامر الله وأحكامه طريق، وحبه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم طريق، وكل هذه الطرق عرضها القرآن الكريم، ومن كل ذلك يحصل الخير كل الخير للإنسان.

وسأتناول هذا المبحث من خلال المطالبين التاليين:

#### المطلب الأول: الاستجابة العامة للدعوة إلى الله

من خلال الدعوة لله يتصل الداعية بجميع الناس، فيوقظهم من غفلتهم، ويعيدهم إلى فطرتهم السليمة، ويأخذ بأيديهم إلى سبيل النجاة والرشاد.

"فالخالق سبحانه لم يترك الإنسان لعقله واجتهاده وأهوائه في التعرف على أسلوب العبادة ومنهجه في الحياة الدنيا بل أرسل إليه الرسل وأنزل الكتب لهدايتهم"<sup>(1)</sup>.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "الأمر بالمعروف كفيلاً باستحياء معنى الحق واستدامة هيئته وإشراق الأمة احترامه والعمل به"<sup>(2)</sup>.

لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما سبيل رفعة الأمة وسيادتها، بل وخيريتها على كل الأمم، كما بين ربنا في كتابه: ﴿

9 ; < = > @ ? C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [ \ ] ^ \_ ` { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿

(1) مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم - دمشق (1430هـ - 2009م)، ط7، ص9

(2) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الإسلام والطاقت المعطلة، ج1، ص126.

(3) سورة آل عمران، آية 110.

كما إن إجابة داعي الله دليل الإيمان، وسبيل إلى زيادته، ومغفرة الذنوب والآثام، والنجاة من العذاب المحقق للعاصيين والكافرين، والخروج من ضلال الظلم والظالمين. قال سبحانه

﴿ V U T S R Q P O N M L K J I ﴾<sup>(1)</sup>

إنها حكمة الله الواحد الأحد سبحانه جل في علاه، فكان من رحمته بعباده أن يختار بفضله وكرمه رسلاً ليبينوا للناس طرق الخير وسبل السعادة في الدارين، يدعونهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

﴿ قَالَ تَعَالَى: ! " # \$ % & ' ) \* + , - . / ﴾<sup>(2)</sup>

وفي مقدمة أهداف الدعوة، دعوة الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده، ومن ثمّ تحرير البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وعدم تأليه ما سوى الله جل شأنه، وهذا ما سطره ربي بن عامر رضي الله عنه، عندما سأله ملك الفرس عن الأمر الذي قدموا من أجله فقال له: "ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه بليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله، قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي"<sup>(3)</sup>. لقد كان كلام ربي هذا تطبيقاً لقوله

سبحانه: ﴿ U T S R Q P M L K J I H G F E D ﴾

﴿ a ` \_ ^ ] \ [ Z X W V ﴾<sup>(4)</sup>

ولقد بذل الأنبياء والرسل كل ما بوسعهم لاستجابة أقوامهم لدعوتهم، فهذا موسى عليه السلام بذل كل ما بوسعه لاستجابة قومه لهذه الدعوة، فطلب من الله عز وجل شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحلّ العقد من اللسان حيث قل سبحانه ﴿ μ ´ 3 2 ° - ® « a © " § ﴾<sup>(5)</sup> ثم طلب من الله الاستعانة بأخيه الفصيح عليه السلام، قال سبحانه:

(1) سورة الأحقاف آية 31

(2) سورة الانبياء، آية 255

(3) الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص401.

(4) سورة النحل، آية 36

(5) سورة طه، للآيات من 25-28

Ñ Đ Ĩ Ĩ Í Ì È Ê ÉÈ Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼» ﴿

(1) ﴿ x ö õ ô ó ò

لتجتمع فيهما الصفات التي يستطيعون بها إقناع وهداية غيرهم، لأن ذلك أنفع وأثبت في سبيل هداية البشرية لهذا الدين.

"إن العلم وحده لا يكفي في ميادين الدعوة إلى الله فلا بدّ من الإخلاص لله رب العالمين، الذي كان يتصف به موسى عليه السلام، فقد يضل المرء على علم"<sup>(2)</sup>

ولقد بيّن القرآن الكريم عدة أساليب على الداعية أن يستفيد منها ليتم له النجاح في دعوته، من هذه الأساليب:

أولاً: ضرب الأمثلة: فهي وسيلة لتقريب وجهة نظر الداعية من السامع، وفيها إقناعه أيضاً بفكرته.

ونظراً لأهمية ضرب المثل، فقد استعمله الله في القرآن العظيم فقال سبحانه

(3) ﴿ Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » ° 1 , ¶ μ ´ 3 ﴿

وقال أيضاً ﴿ { z y x w u t s ﴿<sup>(4)</sup>

"إن الاستعانة بضرب المثل عند القول فيه تأييد للحديث وتقوية له كالحجة تماماً، وقد وردت الأمثال في القرآن في عدة مواضع"<sup>(5)</sup>.

ثانياً: التمثيل للحياة الدنيا: قال جل شأنه ﴿ ° - ® ¬ « a © " § ! ¥ ¤ ﴿

± ¶ μ ´ 3 2 ° 1 , ¶ μ ´ 3 2 ±

(6) ﴿ Ñ Đ Ĩ Ĩ Í Ì È Ê ÉÈ Ç Æ Å Ä ﴿

(1) سورة طه، الآيات من 29 – 35.

(2) الحاشدي، أبو عبد الله فيصل بن عبده، فن الحوار أصوله وآدابه، صفات المحاور، دار الإيمان الإسكندرية، ص 81

(3) سورة الروم: آية 58

(4) سورة العنكبوت: آية 43

(5) ديماس، محمد راشد، فنون الحوار و الإقناع، دار ابن حزم (1420هـ-1999م) ط 1، ص 170

(6) سورة يونس: آية 24



"شبهت حالة الحياة في سرعة تقضيها وزوال نعيمها بعد البهجة به وتزايد نضارتها بحال نبات الأرض في ذهابه حطاماً ومصيره حصيداً".<sup>(1)</sup>

فالحياة الدنيا سرعان ما تزول وتنقضي، لأن حكمة الله شاعت ذلك، فالدنيا دار ممر والآخرة دار مقر. ولقد تعرض الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى لهذه الآية وهذا المثل فقال في تفسيره:

"فإنه تعالى ضرب مثلاً لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها وأصنافها وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك".<sup>(2)</sup>

ثالثاً: الحكمة ثم الموعدة الحسنة: كما قال ربُّنا تبارك وتعالى:

“ § | ¥ ¤ £ | • ~ } { z y x w v }  
⊙ (3) ° - ® « a ©

إن الداعي إلى الحق إذا أراد تحقيق استجابة الآخرين، فعليه أن يتحلى بالحكمة والموعدة الحسنة، اللين واللطف وبذلك يدخل الداعية إلى قلوب الغافلين.

وهذا ما أكده الله سبحانه عندما قال تعالى:

4 3 2 1 0 / - , + \* ) ( ' & % \$ # " }  
(4) ; : 9 8 7 6 5

رابعاً: مخاطبة الآخر بقدر عقله وفهمه: فالداعية الناجح يخاطب الناس بقدر عقولهم، ويتعامل معهم على قدر إمكاناتهم، ففي الحديث الذي رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"<sup>(5)</sup>.

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ج11، ص141

(2) ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص413

(3) سورة النحل، آية 125

(4) سورة العنكبوت، آية 46

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قوم دون قوم كراهية ألا يفهموا، رقم الحديث (127) ج1،



هؤلاء اليهود الذين جاءوك محتكمين إليك أن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه، فيحملوك على ترك العمل به وإتباع أهوائهم"<sup>(1)</sup>.

إن النزول على حكم الله هو تطبيق فعلي لأمر الله سبحانه وتعالى، وامتنال أوامره وهي الثمرة الحقيقية للاستجابة للحق.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فأعلم الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن فرضاً عليه وعلى من قبله والناس إذا حكموا أن يحكموا بالعدل، والعدل اتباع حكمه المنزل"<sup>(2)</sup>.

لأنك عندما استجبت لأمره فقد ألزمتك هذه الاستجابة بكل حرف في كتاب الله سبحانه وتعالى، قراءةً وفهماً وعلماً وعملاً وتطبيقاً فعلياً على الأرض، وهذا الذي أراده ربنا منا سبحانه.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ولا يحل لمسلم أن يحكم إلا بحكم الله المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم"<sup>(3)</sup>.

وسار الصحابة الكرام، رضي الله عنهم وأرضاهم، على أمر ربهم مستجيبين له مطيعين أوامره بدون أي تلوؤ أو تأخير، فالخمره عندما حرمت وسمعوا بتحريمها، ما كان منهم إلا أن استجابوا لأمر خالقهم بدون أي سؤال أو تردد. عن أنس رضي الله عنه كنت ساقياً القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ فأمر رسول الله ﷺ مُنادياً يُنادي ألا إن الخمر قد حرمت قال فقال لي أبو طلحة أخرج فأهرقها فخرجت فهرقتها فجرت في سبك المدينة"<sup>(4)</sup>

واستحق الصحابة نتيجة ذلك، بأن شهد الله تبارك وتعالى لهم بالإيمان الصادق الثابت، حيث قال عز

وجل ﴿ g h i j k l m n o p q r s t v u w x y z ﴾

{ ~ ¢ £ ¤ ¥ }<sup>(5)</sup>

شهادة وتنصيب على صحة إيمانهم، وثباتهم على أمر دينهم، ولسان حالهم دائماً يقول:

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص 273.

(2) لشافعي، محمد بن إدريس (204هـ) أحكام القرآن للشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت (1400هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، ج2، ص121.

(3) الشافعي، الأم، دار المعرفة - بيروت (1393)، ط21، ج5، ص243.

(4) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب المظالم، باب صب الخمر في الطريق حديث (رقم 2332)، ج2، ص869.

(5) سورة البقرة، آية 285.

سمعناك ربنا وأطعناك ورضينا بحكمك واستجبنا لأمرك، وسنصبر على هذا حتى يأتي وعد الله. " مدح يقتضي الحض على هذه المقالة وأن يكون المؤمن يمثّلها غابر الدهر، والطاعة قبول الأوامر"<sup>(1)</sup>. لأن الله تبارك وتعالى قريب من المؤمن المستجيب لأمره الصادق في إيمانه. "فهذا يبين استجابة الله سبحانه لدى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الصادقين الذين ساروا على طريق الهداية وطريق الاستقامة"<sup>(2)</sup> فإن الرسول عليه السلام مستجاب الدعوة لتطبيقه لكلام الله سبحانه، وكل إنسان امتثل أمر الله سبحانه، وحصل له الإيمان، سيستجيب الله له ويكرمه من كرمه. "فما كان من أهل السمع والطاعة وهذا ما يبينه الإيمان بجميع الرسل كما يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولما كان المسلمون هم المتبعون لرسل الله كلهم المسيح عليه السلام، وغيره، وكان الله قد وعد أن ينصر الرسل وأتباعهم"<sup>(3)</sup>.

فهذه الفئة المؤمنة، فئة الإيمان والصدق والإخلاص التي تنصر بنصره سبحانه وتعالى.

يقول الإمام السيوطي رحمه الله: في تفسير الآية: { ~ } "م"

" يعني الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين سمعنا كتابك، أو قيل: قبلناه وأطعنا ما أمرتنا"<sup>(4)</sup>. ولقد بشر الرسول صلى الله عليه وسلم باستمرار قوافل المستجيبين إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، حيث جاء قوله عليه الصلاة والسلام: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ"<sup>(5)</sup>

إنها أمة الإسلام الحية التي عرفت ما هو مطلوب منها تجاه خالقها فاتبعت أحسنه، واستجابت لنداء ربها سبحانه، وسارت على نهجه، وطبقت كلام خالقها بكل ما ورد في كتابه، فسادت وحكمت ونالت الخير في الدنيا والآخرة، ونريد من أمتنا الحاضرة أن تحذوا حذو السلف الصالح، وتسير على ما ساروا عليه، حتى تنال ما نالوا وتحقق ما حققوا، وتبقى في صدارة الأمم.

(1) ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي ( 546هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية - بيروت (1413هـ - 1993م) ط1، تحقيق: عبد السلام محمد، ج1، ص392.

(2) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام (ت728هـ) درء تعارض العقل والنقل، دار الكتب العلمية - بيروت (1417هـ - 1997م)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ج1، ص59.

(3) ابن تيمية، الجواب الصحيح، مطبعة المدني - مصر، تحقيق: علي سيد صبح المدني، ج2، ص180

(4) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ) أسماء المدلسين، ج1، ص64.

(5) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم، (حديث رقم (6881)، ج6، ص2667.

## المبحث الثاني

### صور الاستجابة

لقد وضع الله سُنَّةً في هذا الكون، تتمثل في ربط النتائج بأسبابها، فجعل الله لكل شيء سبباً، وهذه الأسباب هي جسر الإنسان للوصول إلى النتائج، وتتمثل هذه الأسباب في عرض القرآن لهذه الأسباب، وقد بيّنت هذه الأسباب من خلال المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: تحقيق طاعة الله سبحانه وتعالى

إنَّ أعظم ما يملكه الإنسان في هذه الحياة الدنيا وأعظم ما ينعم الله به عليه طاعته لله جل شأنه ففيها الرحمة والطمأنينة والرشد والسلام، والخير كل الخير، قال تعالى ﴿

Ñ Đ ĩ Â (1) Ó Ò

ففي إطاعة الله سبحانه وتعالى الرحمة، فعندما تطيع الله سبحانه وتعالى تحصل لك الاستجابة، فالمستجيب لأمر الله يرحم ولا يعذب.

وقد بيّن سبحانه وتعالى من خلال آيات القرآن الكريم، أهمية إفراد الله سبحانه بالطاعة وأنه وحده هو المستحق لها، فلا يطاع غيره ولا يعبد سواه. قال سبحانه

Đ ĩ Â ĩ Ē É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ن ¼ ½ ﴿

Ñ (2)

"فهذا مثل ضربه الله للمؤمن وللمشرك، فإنَّ المشرك يعبد آلهة شتى ممثلة بعبد يملكه جماعة يتنافسون في خدمته ولا يقدر أن يبلغ رضاهم أجمعين، والمؤمن يعبد الله وحده، فمثله بعبد لرجل واحد قد علم مقصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاكس الخلقاء فيه"<sup>(3)</sup>.

ويقول سبحانه ﴿

e d c b a ` \_ ^ ] [ ZY XWV UT SR Q f (4)

(1) سورة آل عمران – آية 132.

(2) سورة الزمر، آية 29

(3) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله، ط1 (1407-1987م) ج7، ص180.

(4) سورة الشورى، آية 47

قال الإمام الطبري: يقول تعالى ذكره للكافرين به " أحببوا أيها الناس داعي الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم " (1).

فعندما يعتقد العبد أن هناك خالقاً رازقاً محيياً ومميتاً، وجب على هذا العبد أن يستجيب لخالقه، وتكون هذه الإطاعة سبيلاً لأن يستجيب لكل ما أمر به خالقه سبحانه، فقال تعالى

﴿ ! " # \$ % & ' ( ) \* + , - . 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 ﴾

9 8 : ﴿(2) " . أي تصيبوا الحق " (3). إن طريق الرحمن هي طريق الحق، والحذر كلّ الحذر من التتكر لهذه الطريق، فماذا بعد الحق إلا الضلال والتهيان في ظلام الجهل. يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة: أي اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم" (4). صراط النور والإيمان، الطريق السوي لنيل رضا رب العالمين، وما السبيل لنيل رضا الله، سوى الطاعة الخالصة لله،

فالطاعة للخالق جل في علاه راحة وطمأنينة ونور، تصل بك إلى بر الأمان، خير من المعصية التي تبعد عن الهداية.

ويذكر الإمام الطبراني أهمية ومنزلة الطاعة لله ولرسوله : " فاسمعوا له وأطيعوا " بالسمع تعلم ما هو مطلوب منك فتعيه وتدركه، وبالإطاعة تبرهن وتؤكد أنك استجبت لأمره سبحانه (5). إن إطاعة الله سبحانه وتعالى سببٌ لصلاح الأعمال، وطريق لقبولها، لأن النجاة كل النجاة والفوز كل الفوز هو بامتثال أوامر الله سبحانه.

ويقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: " خذوا بحفظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم " (6) هذه هي

(1) الطبري: ، جامع البيان، ج13، ص53.

(2) سورة النور، آية54

(3) الرازي ، التفسير الكبير - مفاتيح الغيب، ج24، ص21.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص300

(5) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (360ت هـ) المعجم الكبير، مكتبة الزهراء - الموصل (1404هـ - 1983م) ط2،

تحقيق: حمدي السلفي، ج22، ص16..

(6) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت597هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر -

بيروت(1358هـ) ط1، ج3، ص66.

الطاعة لله التي تأخذ بيد العبد للوصول لربه سبحانه، فكانت سبيلاً وسبباً من أسباب الاستجابة، التي تجلب له الخير والسعادة في الدنيا، والجنة والنعيم المقيم يوم القيامة.

لقد ربط الله سبحانه وتعالى ما بيّن الطاعة أو الاستجابة لله، وبين بركات السماء والأرض حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ 1 2 ﴾<sup>(1)</sup>

كما ربط سبحانه ما بين العبادة وتحقيق الأمن حيث قَالَ تَعَالَى:

﴿ 4 3 2 1 0 / . - , + \* ) ﴾<sup>(2)</sup>.

والذي نشاهده اليوم في واقعنا الحالي من جوع وفقر، وطلب العون والمساعدة من الدول الكافرة، لهو اكبر دليل على البعد الكبير بيننا وبين خالقنا سبحانه وتعالى، ولو حققنا الاستجابة والطاعة لله ورسوله، وطبقنا شرعه الحنيف، لحصل لنا الخير، وافتحت بركات السماء والأرض، ولعم الخير كل بقاع هذه الأرض.

#### المطلب الثاني: الطمع في تحصيل الخير

من الناس من يستجيب لخالقه سبحانه، لأنه الخالق المنعم المتفضل دونما انتظار لجزاء أو ثواب من الله سبحانه، ومن الناس من يستجيب لخالقه طمعاً بما عنده من خير.

قال سبحانه ﴿ 5 6 7 8 9 : ; < ﴾<sup>(3)</sup>

" يبين سبحانه أنهم لو التزموا هذه التكاليف حصلت لهم أنواع من المنافع"<sup>(4)</sup>

ولقد تكفل الله لهذا العبد بتلبية طلبه، كما يقول الشيخ المناوي رحمه الله تعالى: " ومن يجتهد في تحصيل الخير يعطه الله تعالى إياه"<sup>(5)</sup>

(1) سورة الأعراف، آية 96

(2) سورة قريش، آية 3-4

(3) سورة النساء 66

(4) الرازي ، التفسير الكبير، ج10، ص135

(5) المناوي، عبد الرؤوف (ت1031هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر (1356هـ)

ط1، ج2، ص569

ومن كرم الكريم سبحانه أن الذي ينوي فعل الخير يكرمه ربه بالثواب، وهذا ما أكدته الحديث النبوي الشريف: قال عليه الصلاة والسلام " الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كان هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه (1) وبين ذلك الإمام النووي رحمه الله عندما قال: " يثاب على النية عندما تكون في الخير مطلقاً" (2).

وإذا كانت النية تحقق القبول للعبد، فكيف الحال عند الارتقاء إلى الطاعة والعمل.

### المطلب الثالث: الحب لله ورسوله وللمسلمين

إن من أكثر أسباب الاستجابة عوناً للعبد على تنفيذ وتطبيق أوامر الله هي دخول محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قلبه واستقرارها في هذا القلب ليترسخ بعد ذلك الإيمان، ويزداد شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى ذروته قال عز وجل:

cb a ` \_ ↑ \ [ Z Y X V U T SR QP ON M ﴿  
 ﴿(3) m l k j i hg f e d

إن محبة المؤمن لربه محبة متجدرة تنبعث عن عقيدته وإيمانه بربه، ومحبة الأنداد محبة لا تتبع إلا عن المصالح والأهواء الشخصية، وقد بين ذلك الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى:

" فقد بين أن المؤمنين لا تتقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الأنداد، فإنها لأغراض فاسدة موهومة تزول لأدنى سبب" (4)

(1) البخاري، ، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية، حديث رقم (54) ج1، ص29

(2) النووي، يحيى بن شرف بن حزي (676هـ) شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت

(1392هـ) ط2، ج13، ص8

(3) سورة البقرة، آية 165

(4) البيضاوي، ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي، (ت791هـ)، تفسير البيضاوي، دار الفكر -

بيروت، 1416هـ، 1996م، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفان.، ج1، ص441



فَعِنَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ خَارِجَانِ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَقِينَا رَجُلًا عِنْدَ سُدَّةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبُّتَ<sup>(1)</sup>.

وهذا يبين ويوضح لنا أن العبد إذا حاز على محبة الله ومحبة رسوله ومحبة المسلمين فقد انبثق عن هذه المحبة جميع الفضائل والأعمال الصالحة وعلى رأسها الاستجابة لأمر الله سبحانه.

ولا مقارنة لمحبة الأنداد لأنادهم، لأن محبة المؤمنين لربهم سبحانه تفوق جميع محبة هؤلاء الأنداد، فمحبة المؤمن لخالقه سبحانه تنبع من عقيدته، وإيمانه الصادق الخالص لربه تبارك وتعالى. " لأن محبة هؤلاء الأنداد محبة مجردة عن الحجة لا تبلغ مبلغ أصحاب الاعتقاد الصميم المقصود بالبرهان"<sup>(2)</sup>.

فمحبة المؤمن لخالقه سبحانه وتعالى متجذرة في أعماق قلبه، ومحبة الأنداد لا تلامس بشاشة هذا القلب.

"أفلا يستحي العبد أن يسوي بين إلهه ومعبوده، وبين غيره في هذه العبودية والمحبة؟"<sup>(3)</sup>

إن محبة المؤمن لله وللرسول صلى الله عليه وسلم لها طعم خاص يتذوقه المؤمن من إيمانه الراسخ في قلبه رسوخ الجبال الشامخات، كما قال صلى الله عليه وسلم " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"<sup>(4)</sup>

فلم يبقَ لنا سبيل بعد هذه المحبة إلا أن نطيع أمر ربنا ونستجيب له.

(1) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الأحكام باب الفضاء والفتيا في الطريق، حديث رقم ( 6734 )، ج6، ص2615

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر ( ت1284هـ ) تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس (1997م)، ج2، ص92

(3) ابن القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار ابن القيم - الدمام ( 1414هـ -1994م) ط2، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ج1، ص365

(4) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ( حديث رقم 21)، ج1، ص14

## المبحث الثالث

### آثار الاستجابة وفوائدها في الدنيا والآخرة

الاستجابة لها آثارها وثمارها في الدنيا والآخرة يستشعرها العبد المستجيب لأمر الله، ويذوق طعمها:

حياة هنيئة مستقرة سعيدة، وأما في الآخرة فقمة الآثار نيل رضوان الله، وجنة عرضها السموات والأرض، بكل ما أخبرنا الله ورسوله عنها، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بصحبة أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والمخلصين الصادقين

المؤمنين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً، كما قال تعالى: ﴿

QP O NM L K J I ﴾ (1) \ [ Z Y X V U T S R

ولتفصيل كل هذا جاء هذا البحث في محورين:

الأول: الآثار في الدنيا.

الثاني: الآثار في الآخرة.

أما في الدنيا فنجد المسلم يعيش حياته مستشعراً عدة فوائد نتيجة هذه الاستجابة، وأسوقها ضمن المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: الطمأنينة والاستقرار

يحقق المستجيب لربه طمأنينة واستقراراً في قلبه، إنها حلاوة ذكر الله الذي يعمر القلب فيزرع فيه الطمأنينة والاستقرار، لقوله تعالى:

(2) ﴿ æ å ä ã â á ß Þ Ý Ü Û Ú ﴾

تؤكد الآية الكريمة أن المؤمنين فقط هم الذين يعيشون الطمأنينة الحقة، نتيجة استجابتهم لربهم، فيزدادون علاوة على ذلك إيماناً فوق إيمان كما قال تعالى:

(1) سورة النساء - آية 69 .

(2) سورة الرعد - آية 28.

F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 ﴿

G ﴿ (1)

ذكر سبحانه وتعالى في الآيتين الوجع للقلوب، والاطمئنان بذكر الله ، فكيف يكون اطمئنان وإلى جانبه وجل؟ والتوفيق في ذلك بان لا منافاة بين هاتين الحالتين لأن الوجع هو خوف العقاب، والاطمئنان إنما يكون من تلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد، وهذا مقام الخوف والرجاء، وقد جمعا في آية واحدة، وهي قوله سبحانه وتعالى :

F E D C B A @? > = < ; : 9 8 ﴿

(2) [ Z Y X W V U \$ R Q P O N M K J I H G

والمعنى : تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه، وهذا حاصل في قلوب المؤمنين ثم قال تعالى : " وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا " : يعني وإذا قرأت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقاً. والمعنى : أنه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك إيماناً وتصديقاً، لأن زيادة الإيمان بزيادة التصديق. (3) أما الإمام الماوردي رحمه الله تعالى فيتحدث عن ثمرات الاستجابة ويقول: " فَهِيَ أَمْنٌ عَامٌّ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النَّفُوسُ وَتَتَنَشَّرُ فِيهِ الْهَمَمُ ، وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ الْبُرِّيءُ ، وَيَأْنِسُ بِهِ الضَّعِيفُ " (4).

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾. (5) إنها النفس الراضية المرضية، التي أيقنت ورضيت بقاء ربها، فزرقتها سبحانه الطمأنينة والسكينة في الدنيا قبل لقائه تبارك وتعالى .

عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ "قال: هذا المؤمن اطمأن إلى ما وعد الله" (6) وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ قال:

(1) سورة الأنفال – آية 2.

(2) سورة الزمر – آية 23.

(3) الخازن، علاء الدين علي بن حجر بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص4.

(4) الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب المصري البغدادي (ت450هـ) أدب الدنيا والدين، ج1، ص175.

(5) سورة الفجر – آية 27.

(6) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق: اسعد محمد

الطبيب، ج10، ص3430.

التي أيقنت بأن الله ربها"<sup>(1)</sup>. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا  
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ قال: إن الله إذا أراد قبض عبده المؤمن اطمأنت النفس إليه واطمأن إليها  
ورضيت عن الله ورضي الله عنها، أمر بقبضها فأدخلها الجنة وجعلها من عباده الصالحين"<sup>(2)</sup>.

### المطلب الثاني: البركة في الرزق وكثرة النعم والخيرات

إن من ثمرات الاستجابة لأمر الله ونتائجها إفاضة الخيرات والنعم، والبركة من السماء والأرض،  
وعيش الإنسان في هناء ورغد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا  
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ﴾.<sup>(3)</sup> يقول الإمام السعدي رحمه الله: بيّنت الآية الكريمة: "أن أهل القرى، لو آمنوا بقلوبهم،  
إيماناً صادقاً، صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى، ظاهراً وباطناً، بترك جميع ما حرم الله،  
لفتح عليهم بركات من السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدراراً، وأنبت لهم من الأرض، ما به  
يعيشون، وتعيش بهائمهم، في أخصب عيش، وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ولا كد ولا  
نصب".<sup>(4)</sup>

ويقول الإمام النسفي رحمه الله تعالى: "لآتيناهم بالخير من كل وجه".<sup>(5)</sup>

فإنه تبارك وتعالى هو المُنعم المتفضل على عباده بجميع النعم، وخزائنه مألَى لا ينقصها شيء من  
سؤال السائلين ولا من طلب المحتاجين.

ويقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى: "إن الله تعالى بين في هذه الآية أنهم لو أطاعوا لفتح الله عليهم  
أبواب الخيرات فقال ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا﴾ أي آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

(1) المرجع السابق، ج10، ص3431.

(2) ابن حجر، أحمد علي بن محمد بن حجر العسقلاني، *تغليق التعليق*، المكتب الإسلامي، دار عمار- بيروت، لبنان(1405هـ) ط1، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القرقي، ج4، ص367.

(3) سورة الأعراف - آية 96.

(4) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ج1، ص298.

(5) النسفي، أبو البركات عبدالله احمد بن محمد(ت710هـ) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار القلم - بيروت(1408هـ)

\_\_\_\_\_ (1989م) ط1، راجعه وضبطه: الشيخ إبراهيم محمد رمضان. ج2، ص25 - الزمخشري، *الكشاف* ج2، ص126.

الآخر "وَأَتَّقُوا" ما نهى الله عنه وحرمه، : ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾  
بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن  
والسلامة، وذلك لأن السماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأم، ومنها يحصل جميع  
المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره". (1)

وأشير هنا إلى أهمية الاستغفار في هذا المطلب لما له علاقة وطيدة، بالخيرات والنعم التي يغدقها  
ربنا سبحانه على المستجيب لأمر الله تعالى.

ذكر الله تبارك وتعالى الاستغفار في سورة هود في ثلاثة مواضع، وفي كل موضع يعطي معنى  
مختلفاً عن المعنى الذي سبقه، وجميع هذه المعاني تدور حول الاستجابة، والثمرات التي تسببها  
الاستجابة بفضل الله تبارك وتعالى.

وهذه المواضع هي:

الموضع الأول: قوله سبحانه: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَعًا حَسَنًا إِلَىٰ  
أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (2)  
وهنا جاء الاستغفار بمعنى التوبة والعودة إلى الله تبارك وتعالى، أو هو بداية التوبة كما بين ذلك  
الإمام الشوكاني رحمه الله: "إن التوبة من متمات الاستغفار، وقيل: معنى استغفروا توبوا، ومعنى  
توبوا أخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل استغفروا من سالف الذنوب، ثم توبوا من لاحقها، وقيل  
استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة، وتوبوا إليه لأن الاستغفار هو التوبة والتوبة هي  
الاستغفار وقيل إنما قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب إليها وما  
كان آخرها في الحصول كان أولاً في الطلب" (3).

ومن ثمرات هذه التوبة والعودة إلى الله، كثرة النعم، وسعة الرزق، وأن تعطى على السيئة مثلها  
وعلى الحسنه عشرُ أضعافها، وهذا أيضاً ما بيّنه الإمام الطبري في تفسيره: "فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط  
عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها وأنساً لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت، وإن

(1) الرازي، التفسير الكبير، ج14، ص151.

(2) سورة هود - آية 3.

(3) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، ج2، ص481.

الله سبحانه هو صاحب الفضل من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات" (1)

الموضع الثاني: الذي ذكر ربنا تبارك وتعالى فيه الاستغفار قوله تعالى: ﴿ وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (2)

جاء الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الإيمان كما ذكر الإمام الزمخشري رحمه الله عندما قال معنى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ آمنوا به، لأن التوبة لا تصلح إلا بعد الإيمان" (3) وقال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه مؤكداً هذا المعنى " وَلَا تَتَوَلَّوْا" أي لا تتخذوا بديلاً عن الإيمان" (4). ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: ثم رغبتهم في الإيمان بالخير العاجل (5). "فقال: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾

وأما الإمام الطبري رحمه الله تعالى فيقول: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول هود لقومه ويا قوم استغفروا ربكم يقول: آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم، والاستغفار هو الإيمان بالله في هذا الموضع لأن هوداً ﷺ إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم (6). "ومن ثمرات هذا الإيمان يُنزل لكم الغيث في وقت حاجتكم، وتحيا بلادكم، ويزيدكم عزاً إلى عزكم.

والموضع الثالث: قوله سبحانه: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (7). وجاء معنى الاستغفار في هذا الموضع بمعنى التوحيد كما بين ذلك الإمام الفيروز آبادي رحمه الله تعالى ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ أي وحدوا ربكم" (8).

(1) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج11، ص181.

(2) سورة هود - آية 3.

(3) الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف، ج2، ص380.

(4) الفيروز آبادي، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، ج1، ص186، بتصريف.

(5) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، ج2، ص505.

(6) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج12، ص58.

(7) سورة هود - آية 90.

(8) الفيروز آبادي، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، ج1، ص190.

ومن ثمرات هذا الدين الخير والرحمة والمودة، وقد بينت هذه الآيات الثلاثة، أنها جميعها تدور حول الإستجابة لأمر الله، وأن هذه الاستجابة عادت بالنعف والخير على الملزمين بها.

### المطلب الثالث: الاستعلاء للمسلم

وتأتي ثمرات الاستجابة في الحياة الدنيا ليسعد هذا المستجيب في دنياه قبل لقاء خالقه سبحانه، ليقطف ثمرة جديدة من هذه الثمرات، إنه الاستعلاء للمسلم ليجعله في الرفعة والشرف، ليكون من عليّة الناس، ومن أهل الشرف، ليرفعه ربه في الدنيا، قبل أن يرفعه في الآخرة.

" أنه يمثل لحالة الاستعلاء التي يجب أن تستقر عليها نفس المؤمن إزاء كل شيء ، وكل وضع ، وكل قيمة، وكل أحد ، الاستعلاء بالايان وقيمه على جميع القيم المنبثقة من أصل غير أصل الإيمان .

الاستعلاء على قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان وعلى قيم الأرض التي لم ينبثق من أصل الايمان ،وعلى تقاليد الأرض التي لم يصغها الايمان ، وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان، وعلى أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان

الاستعلاء من ضعف القوة ، وقلة العدد ، وفقر المال ، كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغني على السواء .

الاستعلاء الذي لا يتهاوى أمام قوة باغية ، ولا عرف اجتماعي ولا تشريع باطل ، ولا وضع مقبول عند الناس ولا سند له من الايمان "(1).

### من أين ينشأ الاستعلاء للمسلم

يَتَرَبَّى المسلم على الاستعلاء عن طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم مما يجعله يكسب صاحبه من سؤدد وكماله ، والقرآنُ يَمَلأُ النفوس بهذا الاستعلاء، قال تعالى: ﴿ وَبَلِّغِ الْعِزَّةَ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2).

<sup>1</sup> سيد قطب ، سيد بن الحاج بن قطب بن ابراهيم معالم في الطريق ، دار الشروق - بيروت ( 2006م ) ، ط 2 ، ص 168 .

(2) سورة المطففين - آية 18 .

يُبَيِّن رَبُّنَا سبحانه من خلال هذه الآية الكريمة، أن الأعراء هم المؤمنون، الذين أعزهم المولى تبارك وتعالى بهذا الدين العظيم.

"والاستعلاء بالإيمان ليس مجرد عزمه مفردة ولا نخوة دافعة ، ولا حماسة فائرة ، إنما هو الاستعلاء القائم على الحق الثابت المركوز في طبيعة الوجود الحق الباقي وراء منطق القوة ، وتصور البيئة ، واصطلاح المجتمع ، وتعارف الناس ، لأنه موصول بالله الحي الذي لا يموت"<sup>(1)</sup>.

#### المطلب الرابع: رسوخ الإيمان واستقراره في القلب

من ثمرات الاستجابة، ذلك الإيمان الراسخ الثابت الذي يحققه المستجيب من خلال تطبيقه لهذه الاستجابة التي كان لها الأثر البالغ في رسوخ الإيمان واستقراره في قلب هذا المستجيب وعقله.

إن الذين استجابوا لأمر الله و صدقوا بالله وبرسوله وبما جاء به من عند ربهم وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها، وأدوها بسننها وآتوا الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم، مَنْ الله تبارك وتعالى عليهم بالإيمان وثبتهم عليه ورسخه في قلوبهم . لأن الإيمان لا يثبت ويرسخ ويستقر في القلب بمجرد قول يُتكلّم على اللسان، دائماً يتأتى الإيمان بالقول السديد، والعمل الصالح، والطاعة الصادقة قال سبحانه: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(2)</sup>.

"أي: لاتدعوا لأنفسكم مقام الإيمان ظاهراً وباطناً، كاملاً، ولكن قولوا دخلنا في الإسلام، واقتصرنا على ذلك"<sup>(3)</sup>. ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى إن هذه الآية بيّنت أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة"<sup>(4)</sup>.

وكما كان الإيمان أخص من الإسلام، فلا بد من المداومة على الأعمال الصالحة لنيل هذه الخصوصية، وهذا لا يأتي إلا من المستجيب لأمر الله تبارك وتعالى، من أجل أن يرسخ الإيمان ويستقر في قلبه.

<sup>1</sup> سيد قطب، معالم في الطريق ، ص 169.

<sup>(2)</sup>سورة الحجرات – آية 14.

<sup>(3)</sup>السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج 1 ، ص802.

<sup>(4)</sup>ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير ابن كثير، ج4، ص220.



وبين الإمام الزمخشري شيئاً رائعاً عن هذه الآية فقال رحمه الله تعالى: "الإيمان : هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس، فاعلم أنّ ما يكون من الإقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو إسلام ، وما واطأ فيه القلب للسان فهو إيمان"<sup>(1)</sup> .

وعندما يتجذر الإيمان في القلوب، يستحق هؤلاء الذين نالوا هذه الثمرة بصدقهم وإيمانهم وإخلاصهم لربهم، إلى درجة الخيرية على سائر البشرية كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾<sup>(2)</sup>. إن هؤلاء الذين عبدوا الله وعرفوه وأمنوا برسوله، وحصل عندهم التصديق بهذا الإيمان، استقر الإيمان في قلوبهم واكتمل هم أفضل الخلق. ويتحدث الإمام الشافعي عن هذه الآية ويقول " فعقلنا أنهم خير البرية بالإيمان وعمل الصالحات لا بالمال"<sup>(3)</sup>. إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل فتح الله قلوبهم وأسماعهم لذكره فاسترشدوا بهذا الذكر العظيم ليرسخ الإيمان ويرسخه في قلوبهم .

---

<sup>(1)</sup>الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف، ج4، ص379.

<sup>(2)</sup>سورة البقرة – آية 285.

<sup>(3)</sup>الشافعي، محمد بن إدريس، أحكام القرآن للشافعي، ج2، ص168 – الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، ج8، ص31 – الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي (ت 450هـ) الحاوي الكبير، دار الكتب العلمية – بيروت(1419هـ – 1999م) ط1، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، ج8، ص185.

## المبحث الرابع

### آثار الاستجابة في الآخرة

الاستجابة لأمر الله في الدنيا لا تنحصر آثارها على العبد في الدنيا، بل تتجاوز ذلك إلى الحياة الآخرة، حيث النعيم المقيم في الجنة والظفر بصحبة الرسول عليه الصلاة والسلام والخيرة من الخلق، ولقد تناولت هذه الآثار من خلال المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: (رضا المولى تبارك وتعالى)

المؤمن الصادق لديه العزيمة والإصرار بأن يبقى على العهد مع خالقه سبحانه، وذلك من خلال امتثال أوامره واجتتاب نواهيه، وتتويج ذلك كله بنيل رضا الله سبحانه وتعالى، لأن الهدف الذي يصبو إليه الصادقون المخلصون، وأسمى ما ينتظرونه في الآخرة أن يفوزوا برضا الخالق تبارك وتعالى، لأن من يكرمه الله عز وجل بهذه الصفة، فقد تحقق له كل النعيم والخير المقيم، لأن هذه الصفة هي أكبر النعم بل هي أم النعم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (1). قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: "يقول تعالى ذكره يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، برحمة منه لهم، أنه قد رحمهم من أن يعذبهم، ويرضوان منه لهم بأنه قد رضي عنهم بطاعتهم إياه وأدائهم ما كلفهم" (2). وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣١﴾﴾ (3). وعد من الله سبحانه وتعالى، ومن أصدق من الله قولاً، ومن أصدق من الله حديثاً، لينال من استجاب لله كل الخير، الذي لا نعلم منه إلا القليل، والكثير لا يعلمه إلا الله، وأكبر من ذلك رضوان الله الذي هو نهاية السعادة

(1) سورة التوبة - الآيات 20، 21.

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج10، ص97.

(3) سورة التوبة - آية 72.

الأبدية. "أن الاستبشار من الله تعالى يتضمن رضوانه، والرضوان يتضمن الخلود في الجنان"<sup>(1)</sup>. "عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فيقول هل رَضِيْتُمْ فَيَقُولُونَ: وما لنا لا نَرْضَى وقد أُعْطِيْتَنَا ما لم تُعْطِ أَحَدًا من خَلْقِكَ، فيقول: أنا أُعْطِيْتُكُمْ أَفْضَلَ من ذلك قالوا: يا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ من ذلك، فيقول: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"<sup>(2)</sup>. يبيِّن هذا الحديث القدسي أن أهل الجنة في نعيم لا يشتهون بعده شيئاً، لكنَّ الكريم جل في علاه يريدُ أن يكرمهم بأكثر من هذا كُله بنيل الرضا، وعدم السخط أبداً. قال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى:

"لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة، وكل من علم أن سيده راض عنه كان أفر لعينه، وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم"<sup>(3)</sup>.

قال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَهُ مُمْصَفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾<sup>(4)</sup>.  
يبيِّن ربنا حقيقة هذه الدنيا، وغايتها، ومراد أهلها، بأنها لهو ولعب، وأن الذي يعمل لها فقط، ولا يعمل لآخرته، من لا عقل له ولا فؤاد، وأن الفوز العظيم والنجاة المحققة هي بأن تنال رضا خالقك سبحانه وتعالى.

"أي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة"<sup>(5)</sup>.

عن سعيد بن جبیر: "الدنيا متاع الغرور إن ألتهك عن طلب الآخرة، أما إذا دعتهك إلى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة"<sup>(6)</sup>. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ

<sup>(1)</sup>الكرمانى، محمد بن حمزة بن نصر(ت505هـ) أسرار التكرار في القرآن، دار الإعتصام - القاهرة (1396هـ) ط2، تحقيق:

عبد القادر احمد عطا، ج2، ص99.

<sup>(2)</sup>البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم (6183) ج5، ص2398.

<sup>(3)</sup>ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج11، ص422.

<sup>(4)</sup>سورة الحديد - آية 20.

<sup>(5)</sup>أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم، ج8، ص211.

<sup>(6)</sup>المصدر السابق، ج8، ص211.

هَأْوُمْ أَفْرَعُوا كِتَابِيَّةً ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةً ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ . يمدح ربنا تبارك وتعالى الذين استجابوا لندائه فنالوا كتبهم بإيمانهم، وكانت آخرتهم راضية مرضية برضا من المولى عز وجل.

يقول الإمام الطبري يرحمه الله تعالى: " يقول تعالى ذكره فالذي وصفت أمره، وهو الذي أوتي كتابه بيمينه، في عيشة مرضية، أو عيشة فيها الرضا فوصفت العيشة بالرضا" (2). قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ . هذه نفس المؤمن المطمئن بإيمانه ، ينتظرها عز وجل، ليكرمها بالرضا، وتكون مع الصالحين الأبرار، وأن تسكن في جنات الخلد عند رب العالمين.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستوتوا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإياهم ينادي المنادي ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فاستحقوا أن يذكروا في كتاب الله وينالوا شرف الرضا من الله تبارك وتعالى" (4).

### المطلب الثاني: الخلود في جنات النعيم

ويأتي وعد الله الحق، الذي وعد به عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿٥١﴾﴾ يوضح الإمام السعدي هذه الآية فيقول:

"إن الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم ، وشمل هذا الوصف جميع الدين عقائده ، وأعماله ، أصوله ، وفروعه الظاهرة ، والباطنة ، فهؤلاء على اختلاف طبقاتهم من الإيمان ، والعمل الصالح لهم جنات الفردوس، فجنة الفردوس ، نزل ، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح ، وأي

(1)سورة الحاقة – الآيات 19، 20، 21.

(2)الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج29، ص61.

(3)سورة الفجر – الآيات 27، 28، 29، 30.

(4)الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج4، ص67.

(5)سورة الكهف، آية 107.

ضيافة أجل ، وأكبر ، وأعظم ، من هذه الضيافة ، المحتوية على كل نعيم ، للقلوب ، والأرواح ، والأبدان ، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس ، وتلذ الأعين ، من المنازل الأنيقة ، والرياض الناضرة ، والأشجار المثمرة ، والطيور المغردة المشجية ، والمآكل اللذيذة ، والمشارب الشهية ، والنساء الحسان ، والخدم ، والولدان ، والأنهار السارحة ، والمناظر الرائقة ، والجمال الحسي والمعنوي ، والنعمة الدائمة . وأعلى ذلك وأفضله وأجله، التمتع بالقرب من الرحمن ونيل رضاه ، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرؤوف الرحيم". (1)

وتتوالى الثمرات من رب البريات، وهذه الثمرات ليست جنة بل جنات، التي كانت في الدنيا حق اليقين، فأصبحت في الآخرة عين اليقين، ليراها المؤمن بأَم عينه، ويتذوق طعمها وخيراتها بلسانه، ويلمس نعيمها وحريرها بيده، إنها الجنة لتي أعدت للمتقين الذين استجابوا لأمره سبحانه ولأمر رسوله صلى الله عليه وسلم قال سبحانه ﴿ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ﴾ (2)

إن وعده حق سبحانه وتعالى بأن جعل جزاء من استجاب لأمره، وانتهى عن نهيه، الجنة التي يأتيهم رزقهم فيها في كل وقت وكل حين، حيث قال تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴾ (3)

عباد الرحمن ساروا على دربه وسلكوا نهجه وصبروا على عذابات هذه الدنيا الفانية هم الفائزون حقاً هم السعداء الذين تتلقاهم الملائكة على أبواب الجنات تقول لهم سلاماً عليكم طيبتم فادخلوها خالدين .

إنهم اتخذوا منهجاً ربانياً صحيحاً مستقيماً، فصبروا على مكاره الحياة الدنيا، للفوز برضا ربهم سبحانه، وابتعدوا عن الشهوات والملذات التي هي عزيمة على هذه النفس، من أجل أن يقولوا لهذه النار لن نكون من أهلك ولا من أصحابك بإذن الله سبحانه وتعالى.

" عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ " (4) قال سبحانه ﴿ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ﴾ (5)

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص488.

(2) سورة مريم، آية 61.

(3) سورة مريم، آية 62.

(4) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الرقاق، باب حجب النار بالشهوات، ( حديث رقم 6122 )، ج5، ص2379.

ومسلم، صحيح مسلم (ت261هـ) كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، حديث رقم(2822)، ج4، ص2174.

(5) سورة الرعد ، آية 18.

إنها الجنة التي أعدت في الآخرة للمستجيبين الذين استجابوا لأمر خالقهم، أن الجنة ونعيمها

لا يدركه أي شخص، إنما ينالها أولئك المستجيبون، الذين عملوا لهذا الوقت المهيّب، الذي ينقسم الناس فيه فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير.

" يقول تعالى ذكره أما الذين استجابوا لله فأمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدقوه فيما جاءهم به من عند الله فإن لهم الحسنى وهي الجنة<sup>(1)</sup> ".

قال عز وجل ﴿ ٥ ٦ ٧ ٨ ﴾ قال قتادة: هي الجنة<sup>(2)</sup> ثم ذكر أحوال السعداء وتبعات الأشقياء فقال سبحانه ﴿ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ﴾ أي فيما دعاهم إليه من التوحيد والنبوة والتكاليف " الحسنى " أي المثوبة الحسنى وهي الجنة<sup>(3)</sup> ".

ولن يسير على هذا الدرب إلا أصحاب العقول النيرة، الذين فتح الله سمعهم وقلوبهم لذكره.

" ولا شك أن الذين استجابوا لربهم هم العقلاء الذين عقلوا معنى الامتثال، انتفعوا بما تضمنت من بيان الحق " <sup>(4)</sup> ".

"أي فيما دعاهم إليه من الحق والرشد على السنة رسله لهم الحسنى أي الجنة"<sup>(5)</sup>.

وهذا الذي لا يختلف عليه اثنان ونقوله قولاً واحداً، إن الذين استجابوا لأمر خالقهم سبحانه، وصبروا في الحياة الدنيا على طاعة الله، والبعد عما حرم الله سيرثون الجنة ويخلدون فيها.

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج13، ص638.

(2) النحاس، (ت338)، معاني القرآن الكريم، جامعة أم القرى - مكة المكرمة (1409هـ)، ط1، تحقيق: محمد علي الصابوني، ج3، ص490.

(3) القمي، خطام الدين الحسين بن محمد بن حسين (ت728هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية - بيروت (1416هـ - 1996م)، ط1، تحقيق: الشيخ زكريا عمران، ج4، ص152.

(4) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت1393هـ)، أضواء البيان، دار الفكر - بيروت (1415هـ - 1995م)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ج3، ص301.

(4) المعز التميمي، محمد بن ناصر بن عثمان (-1225)، الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، ج3، ص366.

(5) حكيم، حافظ بن أحمد (ت1377هـ)، معارج القبول، دار ابن القيم - الدمام، (1410 - 1990م)، ط1، تحقيق: عمر بن محمود، ج1، ص96.

"إن الذين استجابوا لربهم بالتوحيد في الدنيا، أورثهم ربهم الجنة في الآخرة".<sup>(1)</sup>

فما كان منهم إلا أن انقادوا لأمر ربهم، وساروا على نهجه، فحصل لهم الخير بأكمله.

"انقادت قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريد من فلهم

"الحسنى" أي: الحالة الحسنة والثواب الحسن، فلهم من الصفات أجلها، ومن المناقب أفضلها، ومن

الثواب العاجل والآجل، مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر".<sup>(2)</sup>

هؤلاء الذين نالوا الحسنى أي الجنة، بسبب انقيادهم وتسليمهم لأمر الله في كل جوارحهم، ومن هذا

إتباعهم لرسول الله سبحانه الذين أخذوا بيدهم إلى بر الأمان، وإلى السير على نهج المولى تبارك

وتعالى.

"أي أجابوا دعوته إذا دعاهم إلى توحيده وتصديق أنبيائه والعمل بشرائعه والحسنى موصوف

محذوف أي المثوبة الحسنى وهي الجنة".<sup>(3)</sup>

ينال الحسنى من استقام على أمر ربه، ولازم العمل المفضي إلى نيل هذا الشرف العظيم.

"دعاهم إلى الحق بفنون الدعوة، فاستجابوا لربهم والتزموا أمره فلهم المثوبة الحسنة".<sup>(4)</sup>

إن السير على درب هذا الدين العظيم هو الطريق الحق، ينعم سائروه بنور الحق المبين، وسوى ذلك

هو الضلال المبين.

يقول الإمام الفراهيدي: "والمحاسن من الأعمال ضد المساوىء، قال الله عز وجل:

﴿# \$﴾ أي الجنة، وهي ضد السوءى.<sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> الفيروز آبادي، تنوير المقياس في تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية - بيروت، ج1، ص207.

<sup>(2)</sup> السعدي، تفسير السعدي، ج1، ص416.

<sup>(3)</sup> الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر - بيروت، ج3، ص76.

<sup>(4)</sup> الألويسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج13، ص132.

<sup>(5)</sup> سورة يونس، آية 26.

<sup>(6)</sup> الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت175هـ)، العين، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ج3، ص143.

الذين أحسنوا هم الذين استجابوا لأمر الله سبحانه، فمن خلال استجابتهم لأمر الله حصلوا وحققوا الحسنى، التي هي النعيم المقيم " الجنة " و فوق ذلك رؤية وجهه الكريم.(1)

وهل المؤمن ينشد شيئاً سوى ذلك، أن ينعم الله عليه بالجنة، وفوق كل هذا رؤية وجهه الله الكريم.

وبين صلى الله عليه وسلم جزاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وثوابهم، الذين صبروا على هذا

الدين حتى حققوا متطلباته ونالوا ثمراته، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صُهَيْبٍ عن النبي ﷺ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّنْ وَجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ قال فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ . (2)

المطلب الثالث: الحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومع من أحب في الدنيا من المتقين

إنها أجمل اللحظات السعيدة والغالية التي ينتظرها المؤمن، أن يكون في صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً، والصادقين الأوفياء من خيرة رجال هذه الأمة الذين من الله عليهم بالصلاح، والاستقامة، والإيمان، ومن ثم بعد ذلك الجنة.

عن قتادة قال: " ذكر لنا أن رجلاً قالوا هذا نبي الله نراه في الدنيا فأما في الآخرة فيرفع فلا نراه" (3).  
فأنزل الله:

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (4).

يقول الإمام البغوي رحمه الله: " إن هذه الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم قد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه، فقال رسول الله

(1) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد(ت281)، صفة الجنة، ج1، ص96، بتصرف.

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ج1، ص163.

(3) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص163.

(4) سورة النساء — آية 69.



ﷺ: ما غير لونك، فقال: يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أنني إن لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية<sup>(1)</sup>.

إن كل من أطاع الله تبارك وتعالى سينال النعمة العظيمة التي تقتضي الفلاح والكمال والسعادة، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدأيته والتوفيق لطاعته من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: "الصدّيقون أفضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه، وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم، وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده"<sup>(2)</sup>. وكل من أحب الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأخلص لهذا الدين، وسار على نهج رب العالمين، لا بد بإذن الله أن يكون مع حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما بيّنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال نص الحديث الشريف الذي روي عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: مَتَى السَّاعَةُ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ لَأَ شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فقال أنت مع من أُحِبِّتَ قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبِّتَ قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ"<sup>(3)</sup>.

يُبيّن صلى الله عليه وسلم أن رأس الأمر هو حُب الله سبحانه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عدا ذلك يأتي تباعا لهذا الحب، ويشر الصحابة أنهم سيجتمعون في الآخرة كما كانوا أحياء مجتمعين في الدنيا. ولقد كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم شديدي الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك كل المسلمين الصادقين إلى يوم القيامة، والذين يتوقون لمجالسته والظفر بصحبته في الدنيا والآخرة.

(1) البغوي، تفسير البغوي، ج1، ص450.

(2) الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف، ج1، ص563.

(3) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العَدَوِي رضي الله عنه، حديث رقم (3485) ج3، ص1349.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: "أي هم معهم في دار واحدة ونعيم واحد يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم لا أنهم يساؤونهم في الدرجة فإنهم يتفاوتون لكنهم يتزاورون" (1). قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (2). وهل هناك لحظات أمتع وأسعد من رؤية خيرة جيل تربي على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، إنهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، كلُّ عضو من أعضاء جسمنا تهفو لهم، فاللسان يحن للكلام معهم، واليد تنتظر السلام عليهم، والعين تهفو للنظر إليهم، والجسد يتزقّب حزنهم ومس جسدكم، لأنهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما حض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلال كلامه الشريف "عن عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال خيرُ الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينه وبيمينه شهادته قال إبراهيم وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد" (3). "إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، خصَّ نبيه محمداً ﷺ، بصحابةٍ آثروه على الأنفس والأموال، بذلوا في الله جل ثناؤه، النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾" (4). "قاموا بمعالم الدين، وناصروا الاجتهاد للمسلمين، حتى تهذبت طرقه، وقويت أسبابه، وظهرت آلاء الله، واستقر دينه، ووضحت أعلامه، وأذل الله بهم الشرك، وأزال رؤوسه، ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية، والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الحياة الأخرى قبل أن يصلوا إليها، وخرجوا من الدنيا وهم بعدُ فيها" (5). فقد تحقق لك كل

(1) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص272 — الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد (ت694هـ) الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الغرب الإسلامي — بيروت (1996م)، ط1، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، ج1، ص179.

(2) سورة الحجر — آية 47.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، حديث رقم (2509) ج2، ص938.

(4) سورة الفتح — آية 29.

(5) المسعودي، علي بن الحسن بن علي (ت346هـ) مروج الذهب، دار الفكر — بيروت (1417هـ — 1997م) ط1، تحقيق: سعيد محمد اللحام. ج1، ص371.

الخير؟ وأي خير هذا، أن تكون في الجنة مع من عشت معهم في الدنيا من الإخوة والأحبة الصادقين المخلصين، ليجتمع الخير كله في هذه اللحظات، لتكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع الصحابة الكرام، وإن لم ندركهم في الدنيا، وإن شاء الله إن ندركهم ونجتمع معهم في الآخرة.

## المبحث الرابع

### نماذج قرآنية من المستجيبين

لقد أرسل ربنا تبارك وتعالى الرسل من أجل هداية أقوامهم، والأخذ بأيديهم إلى طريق الفوز والنجاة، وإنذارهم من الوقوع في المعاصي، فيستحقوا بذلك العذاب الأليم، وأقاموا الحجة عليهم حيث قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(1)</sup>

ومن لطفه سبحانه وتكرمه على عباده، أن أرسل الرسل بلغة أقوامهم، ليفقهوا عنهم ما يدعوهم إليه، وليبينوا لهم ما يخاطبون به. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(2)</sup>

هذا وسأتعرض لثلاثة نماذج من هؤلاء المستجيبين، من خلال المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: استجابة قوم يونس عليه السلام

لقد قام الرسل عليهم السلام بدعوة أقوامهم لدين الله، فمنهم يعني - الأقوام - من استجاب فارتقى، ومنهم من أعرض وكذب فكان من المهلكين، ومن هؤلاء المستجيبين الناجين قوم يونس عليه السلام حيث قال تعالى:

﴿ 3 2 1 0 / . - , + \* ) ( ' & % \$ # " ! ﴾  
﴿ 5 4 ﴾<sup>(3)</sup>

لقد بين ربنا سبحانه أن قوم يونس عليه السلام، لم يكونوا كغيرهم من الأقوام المكذبة، التي لم ينفعها إيمانها، وأصرت على غيها واستمرت عليه، ولم ترجع إلى ربها سبحانه وتعالى، إلا أن قوم يونس عندما رأوا العذاب، نفعهم إيمانهم، وعادوا إلى ربهم، وابتعدوا عن كل ما يسخط ربهم تبارك وتعالى. ولعل الحكمة في ذلك كما يوضح الإمام السعدي رحمه الله تعالى: "أن غيرهم من المهلكين، لو ردوا

(1) سورة النساء، آية 165.

(2) سورة إبراهيم، آية 4.

(3) سورة يونس، آية 98

لعادوا لما نهوا عنه. وأما قوم يونس، فإن الله يعلم أن إيمانهم سيستمر، بل قد استمر فعلا وثبتوا عليه<sup>(1)</sup> يقول الإمام مجاهد رحمه الله تعالى مفسراً الآية الكريمة: " أي كما نفع قوم يونس إيمانهم، فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس"<sup>(2)</sup>

ولم يكونوا من جنس المكذبين الذين لم ينتفعوا بإيمانهم، وهذا استثناء من القرى، لكن قوم يونس آمنوا وأخلصوا لربهم، فتلك هي الأمم إما شاكرة لربها ولأنعمه فهداها سبحانه إلى طريق مستقيم، وإما معرضة جاحدة بخيراته فحق عليها العذاب الأليم.

وهذا ما أشار إليه الإمام القرطبي رحمه الله تعالى، في تفسير الآية الكريمة: "ومفهوم من معنى الآية نفى إيمان أهل القرى، ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع، وهو بحسب المعنى متصل، لأن تقديره ما آمن أهل قرية إلا قوم يونس"<sup>(3)</sup>.

ويونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه، فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فما كان منهم إلا أن عادوا لأمر ربهم ولطريق رشدهم، فهنا يظهر الإيمان الصادق من إيمان المضطر، فالإيمان الصادق يستمر ويترسخ في قلب صاحبه إلى أن يتوفاه الله سبحانه، وإيمان المضطر سرعان ما يتلاشى ويزول عن صاحبه.

" ظاهر هذه الآية الكريمة أن إيمان قوم يونس ما نفعهم إلا في الدنيا دون الآخرة لقوله سبحانه

﴿ ! " # \$ % & ' ( ) \* + , - . / 0 1 2 3 4 5 ﴾

ويفهم من مفهوم المخالفة في قوله " 0 1 2 "

" أن الآخرة ليست كذلك، والإيمان منقذ من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة"<sup>(4)</sup> إن الإيمان بالله سبحانه سعادة وفوز بالدنيا وحفظ ونجاة في الآخرة، فقد نفعهم هذا الإيمان في الدنيا والآخرة.

(1) السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج1، ص374.

(2) مجاهد، بن جبر المخزيعي النا سعي ابو الحجاج، تفسير مجاهد، المنشورات العلمية - بيروت، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر، محمد السورتي، ج1، ص298

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص383.

(4) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار، أضواء البيان، دار الفكر للطباعة - بيروت (1415هـ - 1995م)، تحقيق:

مكتب البحوث والدراسات، ج2 ، ص 162

وفي هذا يقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

" فلما عرف الله الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ما مضى منهم، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم"<sup>(1)</sup>

" عن عطاء بن السائب عن ميسرة عن علي بن أبي طالب قال: إن أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه حتى يستقر يقيناً غير ظن، أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ويقر بالقدر كله"<sup>(2)</sup>  
إن الذي أيقن بقضاء الله وتقديره سبحانه، ورضي بذلك واستسلم له، فقد خلص الإيمان إلى قلبه وصدق، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم صدق الصادقين العاملين لدينه، فهو يرعاهم سبحانه برعايته ويحفظهم بحفظه، ويكشف عنهم العذاب بقدرته.

إنها سنة الله في عباده أن يكون مع الصادقين، وينجي المؤمنين المستجيبين لأمر ربهم والمخلصين له:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ z y } | } • i ϕ £ α ﴾<sup>(3)</sup>

وأما قوله تعالى: ﴿ 5 4 3 ﴾ ففي ذلك قولان:

أحدهما: إلى أجلهم قاله السدي.

الثاني: إلى أن يصيرهم إلى الجنة أو النار، قاله ابن عباس<sup>(4)</sup>

يظهر من خلال النص القرآني أن الله تبارك وتعالى تركهم في الدنيا يستمتعون فيها بأجالهم إلى حين مماتهم.

وقال قتادة رحمه الله عن قوله تعالى ومتعناهم إلى حين، وقال: "إلى موت"<sup>(5)</sup>

(1) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج11، ص171.

(2)السيوطي، جامع الأحاديث، ج15، ص247 — الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين( ت 975هـ) كنز العمال في

سنن الأقوال والأفعال، دار الكتب العلمية — بيروت (1419هـ — 1998م) ط1، تحقيق: محمود عمر الدمياطي، ج1، ص180

— اللالكائي، هبة الله بن الحسين بن منصور ( ت 418هـ)، اعتقاد أهل السنة، دار طيبة - الرياض (1402هـ)، تحقيق: د.

احمد سعد حمدان، ج4، ص666

(3) سورة يونس، آية103

(4) الماوردي، علي بن محمد حبيب (ت450هـ) تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: السيد ابن عبد

المقصود بن عبد الرحيم، ج2، ص452

(5) الصفاتي، عبد الرازق بن همام ( ت 211هـ) تفسير القرآن، مكتبة الرشد - الرياض (1410هـ) ط1، تحقيق: د. مصطفى

مسلم محمد، ج3، ص157

وذلك بأن نالهم الهناء والطمأنينة والسعادة وآمنوا في هذه الحياة الدنيا إلى أن جاءهم الموت.

إن هذا المتاع، الذي سيمتعهم ربهم تبارك وتعالى به، والنعيم الذي سيحصلون عليه، سيكون في الدنيا، وبعد الممات أي في الآخرة، إن شاء الله تعالى، وهذا ما قاله الإمام الجصاص رحمه الله.

" وذلك على الحياة التي يتلوها الموت"<sup>(1)</sup>

ومن أجل استجابتهم، وتركهم ما نهو عنه، أبدلهم الله سبحانه وتعالى العذاب خيراً ونعيماً، وهذا ما قاله الشيخ الطائي رحمه الله تعالى:

" فأمد لهم في التمتع في مقابل ما نالوه من الألم عند رؤية العذاب"<sup>(2)</sup>

وبعد أن انعقدت أسباب العذاب، وأصبح واقعاً بهم، تجلت رحمة الله عليهم، فصرف عنهم هذا العذاب، كما بيّن الإمام السعدي رحمه الله تعالى:

" بأن صرف الله عنهم العذاب بعدما انفقدت أسبابه"<sup>(3)</sup>

لأن الله سبحانه وتعالى لا معقب لحكمه، وهو السميع العليم، يرحم من يشاء برحمته، ويعذب من يشاء بذنبه وعصيانه.

### المطلب الثاني: استجابة بلقيس ملكة سبأ

دعوة الله سبحانه هي الحق، والذين يحملونها هم الذين يحملون لواء الحق، فهم يسبغون على نور من ربهم، وينبغون الطريق أمام غيرهم للانضمام إلى هذا الحق المبين، فهذه بلقيس بنت شراحيل<sup>(4)</sup> فتحت قلبها وسمعتها لنور الله، وطريق الحق وصرفت نفسها عن طريق الضلال طريق الشيطان المبين.

---

(1) الجصاص، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت321هـ) مختصر اختلاف العلماء، دار النشر الإسلامية - بيروت (ت1417هـ) ط2، تحقيق: د. عبد الله نذير احمد، ج3، ص263

(2) الخاتمي، محي الدين بن علي بن محمد الطائي (ت638هـ) الفتوحات المكية، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ت1418هـ - 1998م) ط1، ج2، ص408.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص708

(4) بلقيس بنت شراحيل الهدهاد بن شرحبيل، وفي نسبها اختلاف، ملكة سبأ قيل إنها ملكت اليمن تسع سنين، ثم كانت خليفة عليها من قبل سليمان بن داود أربع سنين، لما أسلمت بلقيس تزوجها سليمان بن داود عليه السلام. ابن هبة الله، علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي، (ت571) تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر - بيروت (ت1995م) تحقيق: محب الدين العمري، ج69، ص67.

قال سبحانه ﴿ ê ë ç æ å ä å â à ß Þ Ý Û Ù Û Ø × Ö ﴾

﴿ ô ó ò ñ ð ï î í ì è ﴾<sup>(1)</sup>

يُبَيِّنُ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ خِلَالِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، نَعْمَهُ عَلَى عِبَادِهِ الشَّاكِرِينَ، لِنَسْخَرَهَا فِي خِدْمَةِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ وَالْفَلَاحِ، وَأَنْ مَا سِوَى ذَلِكَ هُوَ ظَلَمَ الْإِنْسَانَ لِنَفْسِهِ، وَلَكِنْ الْعَاقِبَةُ فِي النِّهَايَةِ لِمَنْ أَدْرَكَ نَفْسَهُ، وَانْضَمَّ لِقَافِلَةِ الْمُتَّقِينَ.

لَقَدْ دَعَا سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلَقَبِيسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ مِنْ خِلَالِ الْهَدْيِ، أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، مِنْ خِلَالِ رِسَالَةِ حَمَلِهَا الْهَدْيِ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَآتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾<sup>(2)</sup>

ظَهَرَ الْحَقُّ وَأَنَارَ اللَّهُ قَلْبَهَا، لِتَقُولَ بِلِسَانِ الصِّدْقِ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِمَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِكَ الَّتِي هِيَ لَا تَتَعَدَّى الْخِيَالَ أَوْ السَّرَابَ شَيْئًا.

وَسَأَلْتَرَمَ بِهَذَا الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَظِيمِ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دِينًا لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا، كَمَا بَيَّنَّ الْإِمَامُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ô ó ò ñ ð ï ﴾ "فَأَسْلَمْتُ وَحَسَنَ إِسْلَامَهَا."<sup>(3)</sup> فَبِهَذَا الَّذِي أَرَادَهُ الْخَالِقُ مِنْ عِبَادِهِ مُلُوكًا وَمَمْلُوكِينَ، أَنْ يَسْلَمُوا لِرَبِّهِمْ وَيَسْتَجِيبُوا لَهُ.

كَمَا قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَسْلَمْتُ أَيُّ: الدَّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ، وَيَأْتِي الْإِسْلَامَ عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ: التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ وَالِاسْتِسْلَامَ وَالْإِقْرَارَ وَاسْمَ لِلدِّينِ الَّذِي نَدِينُ بِهِ."<sup>(4)</sup>

فَهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ كُلِّهِمْ، كَانُوا يَدْعُونَ أَقْوَامَهُمْ إِلَى اتِّبَاعِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ رَضِيَهُ دِينًا لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعًا، وَكُلٌّ مِنْ سَارَ عَلَى غَيْرِهِ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، قَالَ تَعَالَى

﴿ K J I H G F E D C B A @ ? ﴾<sup>(5)</sup>

(1) سورة النمل، آية 44

(2) سورة النمل، الآيات 29، 30، 31.

(3) الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت، ج1، ص292 - اليمني نشوان بن سعيد الحميري، (ت 573 هـ)، خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك النبائية، ج1، ص30

(4) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، بيروت (1404هـ - 1984م) ط1، تحقيق:

محمد عبد الكريم الراضي، ج1، ص136

(5) سورة آل عمران، آية 86



وهذا الإسلام الذي لا يقبل من الإنسان غيره، هو الدين الذي جاءت به كل الأنبياء والرسل، وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام إلى الناس جميعاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الدين إنه "لا يختص بمن بعث إليه محمد صلى الله عليه وسلم بل هو حكم عام في الأولين والآخرين".<sup>(1)</sup>

ومعلوم أن بلقيس لم تدخل في الإسلام وحدها، ولكن دخل معها قومها جميعاً. وهذا ما قاله الشيخ النووي رحمه الله تعالى: فكانت بلقيس طائفة مستسلمة لأمر ربها وأسلم معها قومها.<sup>(2)</sup> فالإسلام دين أهل السموات، ودين أهل الأرض، كما قاله الزرعي رحمه الله:

" فالإسلام دين أهل السموات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض، لا يقبل الله من أحد ديناً سواه "<sup>(3)</sup>

بلقيس وقومها حازت على خيرى الدنيا والآخرة، نالت الهداية في الدنيا واستحقت النعيم المقيم في الآخرة. هو دأب الصالحين الصادقين، الذين ما إن سمعوا بدعوة ربهم إلا وكانوا من أوائل المستجيبين لأمره سبحانه وتعالى، كما حصل من تلبية بلقيس الفورية لأمر خالقها ولدعوة سليمان، ومن ثم دخول قومها في دين الله أفواجاً.

#### المطلب الثالث: استجابة أمة محمد عليه الصلاة والسلام

لقد استجابت بعض الأمم لدعوة رسولهم، وعلى رأس هذه الأمم، أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، التي سجلت من خلال استجابتها لدعوة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم أروع وأصدق الأمثلة، في صدق وإخلاص المستجيب لأمر خالقه سبحانه وتعالى، متمثلة بالصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً، الذين شرفهم ربهم بذكره إياهم في كتابه العزيز في مواضع عدة ومن هذه المواضع قوله سبحانه:

﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَبُّنَا الَّذِي أَلْهَمَ لَنَا الذِّكْرَ لَوْلَا ذَلِكَ لَفَزَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ كُفْرُكَمْ وَأَسَدًا يُضْلِمُونَ ﴾

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا  
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾

(1) ابن تيمية، حقائق التفسير، مؤسسة علوم القرآن - دمشق (1404هـ - 1984م) ط2، تحقيق: د.محمد السيد، ج1، ص 339

(2) النووي، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ) نهاية الأدب في فنون الأدب. ط1، تحقيق: مفيد قمحية، ج14، ص96.

(3) ابن القيم، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي - بيروت (1393هـ - 1973م) ط2، تحقيق: محمد الفقي ج3، ص467.

(4) سورة التوبة - آية 100.

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (1)

لقد صدقوا وأصابوا وأخلصوا في استجابتهم لربهم، وإطاعتهم لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى أتى عليهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في أحاديثه في مواضع عدة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "خيرُ الناسِ قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوامٌ تسبقُ شهادةَ أحدهم يمينه ويمينه شهادته قال إبراهيمُ وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد" (2).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَةً" (3).

ومن بعد الصحابة كان السلف الصالح من التابعين وتابعي التابعين، الذين اتبعوا الصحابة بإحسان، وساروا على النهج الذي سار عليه الصحابة الكرام، وقدموا الغالي والنفيس من أرواحهم وأموالهم في سبيل الله نشرًا لهذا الدين ودفاعاً عنه، حتى وصل هذا الدين بفضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقه أولاً ومن ثم بجهد النبي صلى الله عليه وسلم وثباته، وبثبات هؤلاء الصفوة من الرجال الذين تربوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما وصل إليه من أصقاع المعمورة.

وستبقى هذه الأمة على العهد مستجيبة لأمر الله سبحانه وتعالى تدافع عن هذا الدين وتذود عنه حتى تُعز بالنصر والتمكين، وتعود كما كانت في عهدها السابق قائدة لكل الأمم، حاکمة لهم بما أنزل الله تبارك وتعالى، لأن ربنا سبحانه بيّن لنا في كتابه العزيز ان هذه الأمة هي خير الأمم، وذلك عندما تلتزم بمنهج خالقها سبحانه، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (4)

(1) سورة الفتح – آية 18.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، حديث رقم (2509) ج2، ص938.

(3) البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، لو كنت متخذًا خليلاً قاله أبو سعيد، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (3470) ج3، ص1343.

(4) سورة آل عمران — آية 110.

فخيرية هذه الأمة مرتبطة بمدى التزامها بنهج خالقها واستجابتها له، ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فإذا تركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك. ويبين الإمام السعدي رحمه الله تعالى خيرية هذه الأمة من خلال النص القرآني فيقول: "يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلها لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس"<sup>(1)</sup>.

وما تزال طائفة من هذه الأمة وإلى قيام الساعة تدافع عن هذا الدين، وتحاول تبليغه للناس كافة بشتى الوسائل والطرق، خاصة في هذه الأرض الطيبة المباركة، أرض الإسراء والمعراج، التي باركها ربنا سبحانه وتعالى في كتابه فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(2)</sup>.

وستبقى الخيرية موجودة في هذه الأمة، ولن تزول عنها بفضل الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أكده حديث سيد البشر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة"<sup>(3)</sup>.

هذه هي نماذج حية للاستجابة تأخذ بيدنا للسير على نهج الحق ونهج الإسلام العظيم طريق النور والهداية والفلاح سبيل السعادة والسرور في الدنيا وللاخرة

(1) السعدي، عبد الرحمن ناصر، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان، ج1، ص143.

(2) سورة الإسراء — آية 1.

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ حديث رقم (156) ج1، ص137.

## الفصل الرابع

### الإعراض في السياق القرآني

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: أسباب الإعراض

المبحث الثاني : صور الإعراض المذمومة والممدوحة

المبحث الثالث: نماذج من بعض المعرضين

المبحث الرابع: آثار الإعراض في الدنيا والآخرة

المبحث الخامس: طرق علاج الإعراض

لقد تحدث القرآن الكريم عن الإعراض، وعرضت آيات هذا القرآن الإعراض بشكل موسع، لا يبق من خلال ذلك لأي معرض حجة أن يستمر في إعراضه وبعده عن الله تبارك وتعالى.

فكلما تناول القرآن الكريم موضوع الاستجابة والمستجيبين لله سبحانه، تناول المعرضين بشكل مفصل في آياته، من حيث أسباب الإعراض، وصُورُهُ سواء المذمومة والممدوحة، وساق لنا نماذج من هؤلاء المعرضين، والآثار التي تترتب على الإعراض في الدنيا والآخرة، وأخيراً طرق معالجة ظاهرة الإعراض.

وسيتم بيان ذلك من خلال خمسة مباحث :

## المبحث الأول أسباب الإعراض

هناك أسباب كثيرة تجعل الإنسان يعرض عن الله تبارك وتعالى، ومن أهم هذه الأسباب الكبر، وحب الدنيا، وعدم إطاعة أمر الرسول عليه السلام، وإطاعة أمر المشركين.

وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: الكبر

الكبر في اللغة: "العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه، والتاء فيه للتفرد والتخصص لا تاء التعاطي والتكلف. و الكبرياء: العظمة والملك.

وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله"<sup>(1)</sup>.

وفي الاصطلاح:

إن الكبر تعالٍ على الحق، وعلى أوامر الله سبحانه وتعالى، والتعالي على الناس واحتقارهم، وعدم رضوخه للحق، وهذا ما بيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الحديث الشريف: "عن إبراهيم النَّخَعِيِّ عن عَقْمَةَ عن عبد الله بن مَسْعُودٍ عن النبي ﷺ قال لَمَّا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ

(1) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين، (ت711هـ)، لسان العرب، ج5، ص125.

من كِبْرٍ قال رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَتَعَلُّهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ  
الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ (1) وَغَمَطُ النَّاسِ (2) ، (3) ."

فقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا شك أن في مقدمة الكبر، هو التكبر على الخالق سبحانه، بعدم الاستجابة لأوامره، إذ فيها الهلاك المحقق في الآخرة، وعدم الوصول إلى جنته سبحانه.

ومن صفات هؤلاء المتكبرين، الجدل في آيات الله بغير إذن أو سلطان أو تخويل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (4)

### المطلب الثاني: حب الدنيا

لقد فطر الله النفوس على حب الدنيا وزينتها ومتاعها، وزينها للإنسان، إلا أن المرفوض في ذلك المغالاة في حبها على حساب الآخرة، أو أن تستولي على قلبه فيستعبد القلب من قبلها، ويصبح كل همه وشغله هو متاعها الزائل، وهذا ما بيّنه الحديث الشريف: " عن بن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيّب أن أبا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل " (5) . (6)

(1) بَطْرُ الْحَقِّ : دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً ، وقيل: مجاوزة الحد ، وقيل: التبختر ، الطغيان في النعمة .

— الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أساس البلاغة ، ج1، ص42 — النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مزي، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي — بيروت (1992م)، ط2، ج2، ص90 — ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي ، لسان العرب ، ج4، ص68 .

(2) غَمَطُ النَّاسِ : إحتقارهم والإزدراء بهم وإستصغارهم — النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مزي، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج2 ، ص90 — ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي ، لسان العرب ، ج7، ص364 — السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر، الأفعال، عالم الكتب — بيروت ، ط1، ج2، ص421 — الأحمدي، موسى بن محمد بن الملياني، الأفعال المتعدية بحرف، ج1، ص264 — الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة ، ج8، ص87 .

(3) مسلم، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، حديث رقم (91) ، ج1، ص93 .  
(4) سورة غافر — آية 56.

(5) طول الأمل: محبة طول العمر ، وقيل الرجاء : ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج11، ص240 — الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ، ج1، ص10.

(6) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي ، صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر ، حديث رقم (6057)، ج5، ص2360.

إن الاعتدال والتوسط في حب الدنيا هو المطلوب من المسلم، ولا حرج في ذلك، بل إن الله سبحانه يذكر الإنسان بعدم نسيانه لنصيبه من الدنيا، كما قال تعالى:

﴿ وَأَبْتَغِ فِيهَا مَا مَلَكَتْ أَلْمِ يَدَاكَ ۖ وَالْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ ۗ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۗ ﴾ (1).

"أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة (2)".

أن السعادة الحقيقية ليست في هذه الدنيا القصيرة، إنما السعادة في الآخرة دار الخلود المقيم، وهذا ما بيّنه الصحابي الجليل علي رضي الله عنه من خلال قصيدته الرائعة التي يقول فيها:

"النفس تبكي على الدنيا وقد علمت

أنَّ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرَكُ مَا فِيهَا

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها

إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا (3)".

لكن حب الدنيا الذي أردناه في هذا المطلب الذي يؤدي إلى الإعراض ويكون سبباً من أسبابه، هو ذلك الذي تستولي الدنيا على قلب الإنسان، فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، هذا الذي أنكره ربنا في كتابه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ (4)".

(1) سورة القصص — آية 77.

(2) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ج3، ص400.

(3) ابن أبي طالب، علي، ديوان علي بن أبي طالب، ج1، ص176.

(4) سورة يونس — آية 7.

قال الحسن البصري رحمه الله مفسراً هذه الآية: "والله ما زينوها ولا رفعوها حتى رضوا بها"<sup>(1)</sup>. هؤلاء رضوا بالحياة الدنيا بدلاً عن الآخرة ، آثروا القليل الفاني على الكثير الباقي، جعلوها غاية أمرهم كأنهم خلقوا من أجلها، فهؤلاء لا ينتفعون بالآيات القرآنية ولا يعتبرون بها.

### المطلب الثالث: عدم الاحتكام لشرع الله

المُعْرِضُ يترك السلوك القويم، الذي أمر به سبحانه، ويسير في سبل الغواية والضلال، التي نهى الله تبارك وتعالى عنها بقوله عز وجل ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(2)</sup> فهذه السبل هي سبل الشيطان التي تدخل الإنسان المعرض في دائرة الكفر، وهذا ما بينه صلى الله عليه وسلم من خلال الحديث الشريف" عن عُرْوَةَ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه حدثه أن رجلاً من الأنصارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ في شَرَاخِ الحَرَّةِ التي يَسْقُونَ بها النَّخْلَ فقال الأَنْصَارِيُّ سَرَّخَ المَاءَ يَمْرُ فَأَبَى عليه فَاحْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فقال رسول الله ﷺ لِلزُّبَيْرِ اسق يا زُبَيْرُ ثُمَّ أُرْسِلِ المَاءَ إلى جَارِكَ فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ فقال أن كان بن عمّتك فتلون وجّه رسول الله ﷺ ثُمَّ قال اسق يا زُبَيْرُ ثُمَّ أَحْبَسَ المَاءَ حتى يَرْجِعَ إلى الجَدْرِ فقال الزُّبَيْرُ والله إني لأحسبُ هذه الآية نزلت في ذلك"<sup>(3)</sup>. ﴿ فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حتى يُحْكُمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾<sup>(4)</sup>.

"قال ابن العربي رحمه الله تعالى: في معنى قوله تعالى "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم" فكل من أتهم رسول الله ﷺ في الحكم فهو كافر لكن الأنصاري زل زلة فأعرض عنه النبي ﷺ وأقال عثرته لعلمه بصحة يقينه وأنها كانت فلتة وليست لأحد بعد النبي ﷺ"<sup>(5)</sup>. إنَّ المُعْرِضِ يقطع كل السبل بينه وبين خالقه ، فيخرج نفسه من دائرة الإيمان ، ويضعها في حبال الشيطان التي تؤدي به إلى الكفر والعياذ بالله .

(1) الرازي، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير ابن أبي حاتم ، المكتبة العصرية — صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ج6، ص1928.

(2) سورة الأنعام آية 153.

(3) البخاري ، صحيح البخاري، كتاب المساقاة الشرب، باب سكر الأنهار، حديث رقم(2231) ج2، ص832.

(4) سورة النساء آية 65.

(5) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب — القاهرة، ج5، ص267.



وَالْمُعْرِضُ أَسْوَأُ حَالاً مِنَ الْمُتَوَلِّي، مع العلم أن التولي ليس بالأمر البسيط، قال الكفوي رحمه الله، قال بعضهم : "المعرض والمتولي يشتركان في ترك السلوك (القويم)، إلا أن المعرض أسوأ حالا ، لأن المتولي متى ندم سهل عليه الرجوع والمعرض يحتاج إلى طلب جديد ، وغاية الذم الجمع بينهما لأن المعرض انصرف عن الشيء بالقلب ، والتولي قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف مع ثبوت العقد"<sup>(1)</sup>.

وقد بين سبحانه وتعالى من خلال النصوص القرآنية ، وسياق الآيات المتتالية أن المعرض عن الله داخل في دائرة الكفر فقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾.

وإذا كان إعراض المسلم عن أخيه المسلم قد عدّه الإمام ابن حجر الهيتمي من الكبائر عندما قال:" الكبيرة السادسة والسبعون بعد المائتين التهاجر: بأن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام لغير غرض شرعي، والتدابير: وهو الإعراض عن المسلم بأن يلقاه فيعرض عنه بوجهه"<sup>(3)</sup>. فما بالك بمن يعرض عن ربه الذي خلقه ورزقه، ألا يستحق أن يكون مع الكافرين، إن هذا الذي تعامى عن الهدى وزهد به مع القدرة عليه، ورغب في الباطل ، وسارَ خَلْفَ الشيطان ، الذي يزين لأتباعه ويملي لهم، فجعلهم من المعرضين عن الله وعن كتابه ، وما يعدهم الآ غرورا كما قال سبحانه:

﴿ يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ<sup>ط</sup> وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات ، ج 1 ، ص 28 .

ابن حميد ، ابن ملوح ، صالح بن عبد الله ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ، ج 9 ، ص 28 .

<sup>(2)</sup> سورة يس الآيات 45 – 48 .

<sup>(3)</sup> الهيتمي، ابن حجر (ت973) والزواجر عن اقتراف الكبائر ، المكتبة العصرية – لبنان – صيدا – بيروت (1420هـ –

1999م) ط 2 ، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ، ج 2 ، ص 608 .

<sup>(4)</sup> سورة النساء – آية 120 .

المطلب الرابع: عدم الامتثال لتوجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام والامتثال للمشركين

إن عدم السماع لتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم، واستبدال ذلك بإطاعة المشركين والسماع لهم، يجعل الإنسان في غاية الإعراض والخسران قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنِيمَ لَعْنَا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ (١).

إنهم يتمنون لو أنهم أطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يطيعوا أسيادهم من المشركين، لكن هيهات هيهات لقد فات الأوان وفاز من فاز وخسر من خسر.

وليعلم المعرض عن الله أنه سيأكل يديه ندماً يوم القيامة، وأن أول من يتخلى عنه من أطاع أمره في الدنيا من المشركين، ويتمنى أن لو اتخذ مع الرسول سبيلاً في دار الدنيا، وفي هذا يقول سبحانه:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٦٧﴾ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٦٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (٢).

إن الكفر والشرك أصلهما مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام كما يقول الحافظ ابن كثير:

" و أصل الكفر والشرك مخالفة الرسول ﷺ وهؤلاء الجهال فيهم من الشرك و مخالفة الرسول ما لا خفاء به على المؤمن" (٣).

واعلم أيها المسلم أن دخولك الجنة مرتبط بطاعتك لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ومخالفتك لأمر المشركين. وهذا ما بيّنه صلى الله عليه وسلم من خلال حديثه الشريف الذي رواه عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال كل أمتي يدخل الجنة يوم القيامة إلى من أبى قالوا ومن يابى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (٤). (٥). لقد قرر الله سبحانه وتعالى بأن طاعة

(١) سورة الأحزاب — الآيات 66، 65، 67.

(٢) سورة الفرقان — الآيات 27، 28، 29.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تلخيص كتاب الاستغاثة، ج1، ص278.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم حديث رقم(6851)، ج6، ص2655 — ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم(8713)، ج2، ص361.

(٥) أبى : عصيان الرسول صلى الله عليه وسلم : ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج13، ص254.

الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعته ، بل أمر الله بها وقرن ما بين طاعته عز وجل وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام حيث قال سبحانه: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَغُ الْمُبِينِ ﴾ (1).

يقول الإمام الزمخشري — رحمه الله — معقباً على الآية الكريمة: "وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان ، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه ، وإن أطيعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى" (2).

لقد بيّن سبحانه وتعالى أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي السبيل لطاعته، والطريق الموصل لمرضاته، وأن عدم طاعة أمر الرسول عليه الصلاة والسلام ومخالفة ما جاء به والصد عنه، والالتفات لأوامر المشركين وإطاعتها، هو والخسران المبين.

وهذا ما بيّنه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي" (3).

(1) سورة النور — آية 54.

(2) الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، ص255.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، ج6،

ص2611.

## المبحث الثاني

### صور الإعراض المذمومة والممدوحة

للإعراض مظاهر عديدة منها ما هو مذموم ، ومنها ما هو ممدوح ، أما الصور المذمومة فمن أجل أن نبتعدَ عنها، ولا نقع في حبائل الشيطان الذي يدعو لها.

وأما الممدوحة قد بيّنها ربنا في كتابه ، من أجل أن نقفدي بها، ونسير في طريق الرحمن الذي يدعو إليها ، حتى تكون طوق نجاة لنا في الدنيا والآخرة .

وقد تم تقسيم صور الإعراض المذمومة في هذا المبحث إلى خمسة مطالب:

#### المطلب الأول: الإعراض عن الطاعات والسهو عنها

قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ (1).

بيّن سبحانه من خلال هذه الآية أنهم ساهون عن الطاعات ، غارقون في الشهوات والملذات، بدلاً من الشكر على النعمة.

#### المطلب الثاني: الإعراض عن الوعظ والإرشاد

قال تعالى: ﴿ فَمَا هُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (2).

المُعْرِضُ حاله حال الذين جعلوا أصابعهم في أذانهم ، فهم يفرون من الموعظة ومن التذكير بالحق كما يفر الحمار الوحشي من الأسد.

(1) سورة سبأ — آية 16.

(2) سورة المدثر — آية 49، 50، 51.

### المطلب الثالث: الإعراض عن الحساب

قال تعالى: أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ<sup>(1)</sup>.

يتعجب الخالق سبحانه وتعالى من حال الناس، الذين لا ينفع معهم تذكير ووعيد، كأنهم خلقوا من أجل هذه الدنيا الفانية، وأن الله سبحانه لا يزال يجدد لهم التذكير والإرشاد، لكنهم في غيهم وإعراضهم وطمغيانهم يعمهون .

### المطلب الرابع: الإعراض عن آيات الله في الكون

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُّعْرِضُونَ ﴾<sup>(2)</sup>.

يُبين سبحانه من خلال النص القرآني أن كثيراً من الناس يمرون عن آيات الله، من سماء وأرض وبحار ومخلوقات، تلك التي تدل على وحدانيته، ولا يلتفتون إليها ولا يتعظون بها .

### المطلب الخامس: الإعراض عن ذكر الله، عن الحق، عن النبأ العظيم

قال تعالى: وَمَنْ ﴿ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾<sup>(3)</sup>.

من لم يعمل بكتابي ولم يتبع هداي، فإن له معيشة ضنكا، وحالة مظلمة، وعذاباً كبيراً.

قال تعالى: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾<sup>(4)</sup>.

لا يميزون بين الحق والباطل، فأصبحوا لا يؤثر فيهم إقامة البرهان لكونهم جاهلين للحق.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُّعْرِضُونَ ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) سورة الأنبياء – آية 1.

(2) سورة – يوسف آية 105.

(3) سورة طه – آية 124.

(4) سورة – الأنبياء 24 .

(5) سورة – ص الآيات 67 – 68.

خبر عظيم أي "القرآن" جليل يجب عليكم العناية به، وعدم إهماله، لأن العناية به فوز وفلاح لكم وفي إهماله خسران وضياح ميين .

وقد تم تقسيم صور الإعراض الممدوحة في هذا المبحث إلى مطلبين:

### المطلب الأول: الإعراض عن المشركين والجاهلين

قال تعالى: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (1).

وقال سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ (2).

وقال سبحانه: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (3).

يوجه الله سبحانه المسلمين بأن يعرضوا عن الجاهلين، وفي الوقت الذي يكون الكلام فيه بليغاً من المسلم أو الداعية، عليه بالصبر على إغراض المعرضين،

### المطلب الثاني: الإعراض عن اللغو

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ (4).

يقول الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى مفسراً الآية الكريمة:

"هذه صفة من صفة النفوس المؤمنة الصابرة على الإسلام الخالصة للعقيدة، وهي ترك الهذر الذي يقتل الوقت، دون أن يضيف إلى القلب أو العقل زاداً جديداً، والقلوب المؤمنة لا تلغو ذلك اللغو، ولا تستمع إلى ذاك الهذر، ولا تعنى بهذا الإيذاء، فهي مشغولة بتكاليف الإيمان، مرتفعة بأشواقه، متطهرة بنوره، ولكنهم لا يهتاجون ولا يغتاطون ولا يجارون أهل اللغو فيردون عليهم بمثله، ولا يدخلون معهم في جدل حوله، لأن الجدل مع أهل اللغو لغو، إنما يتكونهم في موادة الإسلام." (5).

الموفقون لطاعة الله سبحانه "عباد الرحمن" يُعرضون عن أي قول يغضب المولى تبارك وتعالى، وهم يتبرؤون منه، ولا يردون السيئة بمثلاً، بل هم كالشجر يقذفه الناس بالحجر ويرد عليهم بالثمر. وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (6).

(1) سورة الأنعام — آية 106.

(2) سورة النساء — آية 63.

(3) سورة الأعراف — آية 199.

(4) سورة القصص — آية 55.

(5) سيد قطب، سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم، في ظلال القرآن، دالر الشروق — القاهرة (1421هـ — 1992م) ط7، ج5،

ص2701.

(6) سورة فصلت — آية 34.

## المبحث الثالث

### نماذج من بعض المعرضين

هناك صنوف شتى من المعرضين، أقوام بأكملها وأشخاص بذواتهم صدوا عن ذكر الله ولم ينالوا إلا الهلاك والعذاب، سلخوا درب الشيطان فاستحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله قال سبحانه: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (1). فكانت نتيجة إعراضهم أنهم أصبحوا من حزب الشيطان، وما مآل الشيطان إلا الخسارة والخذلان في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

وسأتناول نموذج على هؤلاء المعرضين تتجلى بثلاثة أقوام، جاءت ضمن المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: إعراض قوم لوط عليه السلام

لقد كان قوم لوط أفجر الناس وأكفرهم، تفتنوا بالإعراض أيما تفتن، فعلوا الفواحش والمنكرات والمعاصي، وكانوا يقطعون السبيل، سلخوا دروباً في المعاصي لم يسلكه أحد من العالمين، إنه إتيان الذكران من العالمين، واستبدال ما أحله الله لهم وأنعم عليهم به من النساء بهذه الفعلة النكراء، التي جعلتهم لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، فدعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده، وترك هذه الأفعال والمعاصي المنكرة، لكنهم أصروا على طغيانهم وتمادوا في ضلالهم فحل بهم العذاب الأليم، لهذا بيّن سبحانه حالهم التي جاءت في القرآن بعدة مواضع ومن هذه المواضع قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۗ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ ۗ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۗ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (2)

(1) سورة المجادلة - آية 19.

(2) سورة الأعراف - الآيات من 80 - 84.

وقد بيّن الإمام السعدي رحمه الله حالهم من خلال تفسيره لهذه الآيات:

"أي : الخصلة التي بلغت في العظم والشناعة إلى أن استغرقت أنواع الفحش، فكونها فاحشة من أشنع الأشياء ، وكونهم ابتدعوها ، وابتكروها ، وسنوها لمن بعدهم ، من أشنع ما يكون أيضا . ثم بينها بقوله : "إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء " أي : كيف تذرون النساء ، اللاتي خلقهن الله لكم ، وفيهن المستمتع الموافق للشهوة والفطرة ، وتقبلون على أدبار الرجال ، التي هي غاية ما يكون في الشناعة والخبث ، وهي تخرج منه الأنتان والأخبث ، التي يستحيي من ذكرها فضلا عن ملامستها وقربها . "بل أنتم قوم مسرفون " أي : متجاوزون لما حده الله متجرئون على محارمه"<sup>(1)</sup>.

لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد من هذه الجريمة النكراء، بل سخروا من ناصحيهم وأرادوا إخراجهم من القرية، وهذا ما بيّنه الزمخشري في تفسيره:

"ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشرّ كله ، لكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته ، من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ، ضجراً بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم . قولهم : " إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ " سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش ، وافتخاراً بما كانوا فيه من القذاره"<sup>(2)</sup>.

وما أن بلغ بهم هذا الإعراض مبلغه، فمارسوا الفاحشة، وتأمروا على إخراج لوط عليه السلام والمتطهرين معه من القرية، إلاّ وتدخّل الحق بإيقاف هذا الفساد، ونزل عذابه بهم، حيث قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ .

كما هو الحال في دول الغرب الكافرة، التي تمارس هذه الفاحشة النكراء، وكثير من الفواحش، وسيحل بهم العذاب الأليم، كما حل بقوم لوط عليه السلام.

**المطلب الثاني: إعراض فرعون وقومه**

<sup>(1)</sup>السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج1، 296.

<sup>(2)</sup>الزمخشري، الكشاف، ج2، ص119.

<sup>(3)</sup>سورة هود - الآيات 82، 83.



تحدثنا في النموذج الأول عن قوم بأكملهم أعرضوا عن الله، وسنتحدث في هذا النموذج عن شخص بعينه أعرض عن الله، وقاد الناس للإعراض عن الله إنه "فرعون" الذي سام قومه سوء العذاب وتفنن في إذلالهم، وعلا في الأرض، وتجبر، وقتل، وظلم، وذلك بفساده وإفساده، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (1)

قال ابن عباس: "استكبر، وقال السدي: تجبر، وقال قتادة: بغى" (2).

أراد الله تبارك وتعالى له الهداية والخير، فأرسل له موسى وأخاه هارون عليهما السلام لإرشاده وإنقاذه من غيّه وضلاله قال سبحانه: ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (3) "وهذه آذَهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٢﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (3). "وهذه الآيات تُبَيِّنُ جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللين لمن معه القوة وضمنت له العصمة، ألا تراه قال لهما قولاً له قولاً لينا ولا تخافا إني معكما أسمع وأرى" (4). لأن ربنا سبحانه أدب من يحمل هذه الرسالة بأسمى آيات الأدب، فكانوا مشعل نور وهداية، يدعون إلى الله سبحانه بأفضل الطرق، وأحسن أسلوب، يستعملون الكلام السهل اللطيف، الذي يكون برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال" (5) ..

" فَأَمَرَ تَعَالَى أَنْ يُلَيِّنَا الْقَوْلَ لِأَعْظَمِ أَعْدَائِهِ وَأَشَدِّهِمْ كُفْرًا وَأَعْتَاهُمْ عَلَيْهِ لِنَّا يَكُونَ إِغْلَاطُ الْقَوْلِ لَهُ مَعَ أَنَّهُ حَقِيقٌ بِهِ ذَرِيعَةٌ إِلَى تَنْفِيرِهِ وَعَدَمِ صَبْرِهِ لِقِيَامِ الْحُجَّةِ فَهَاهُمَا عَنِ الْجَائِزِ لِنَّا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَكْرَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى" (6) .

(1) سورة القصص - آية 4.

(2) الثعلبي، احمد بن محمد النيسابوري، (ت 427هـ)، تفسير الثعلبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (1422هـ) — (2002م)، ط1، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ج7، ص232.

(3) سورة طه - الآيات 42، 43، 44.

(4) ابن العربي، ابوبكر محمد بن عبد الله (543هـ)، أحكام القرآن، ج3، ص259.

(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص506.

(6) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج3، ص138.

ومع كل هذا اللين والكلام الطيب من موسى وأخيه فرعون رماهما بأبشع الصفات لقد رماهما "السحر" الذي هو أبطل الباطل، والذي حقيقته التمويه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُّبِينٌ<sup>(1)</sup> . وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى<sup>(2)</sup> .

وبعد كل هذه الأساليب المتنوعة بالدعوة، تارةً بالترغيب: قال سبحانه: ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ<sup>(3)</sup> فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ<sup>(3)</sup> . فقد بيّنت الآية الكريمة أهمية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بالأسلوب الطيب الهين اللين لأنه أوقع في النفس، كما بيّن الإمام ابن كثير رحمه الله: "أن دعوتها له تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع"<sup>(4)</sup>.

وتارةً بالترهيب:

قال سبحانه: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ<sup>(5)</sup> قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ<sup>ط</sup> وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ<sup>(5)</sup> .

إن أسلوب التخويف من عذاب الله له دوره في الدعوة والعودة إلى الله إذا لم ينجح أسلوب الترغيب كما بيّن لهم موسى عليه السلام محذّرهم عذاب الله إذا استمروا في غيهم وطغيانهم.

وتارةً بالحوار والمجادلة: قال سبحانه: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ<sup>ط</sup> قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَىٰ<sup>(6)</sup> إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ<sup>(6)</sup> قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ<sup>(6)</sup> قَالَ

(1) سورة يونس - آية 76.

(2) سورة طه - آية 63.

(3) سورة طه - الآيات 43، 44.

(4) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ج3، ص154.

(5) سورة طه - الآيات 60، 61.

رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٦٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٦١﴾ قَالَ  
عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٦٢﴾ (1).

لقد بيّنت هذه الآيات الكريمة أهمية الحوار الهادف إلى الحق في دعوتنا إلى الله تبارك وتعالى.

تارةً بالدليل والبرهان والحجة الدامغة: قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ  
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَاتَّبَعُوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۗ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (2). وقال  
سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ (3). وقال سبحانه: ﴿ قَالَ أُولُو۟ ٱلْحَيْثُو۟ ٱلَيْتِنَا بِشَيْءٍ  
مُّبِينٍ ﴾ (4) قَالَ فَأَتٰ بِهٖ ءِٓن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِي۟نَ ﴿٦١﴾ فَأَلْقٰ عَصَاهُ فَاِذَا هِيَ ثُعْبٰنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾  
وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَاِذَا هِيَ بَيْضٌ لِلنّٰظِرِي۟نَ ﴿٦٣﴾ (4).

لم يترك موسى عليه السلام سبيلاً للوصول إلى قلب فرعون لإرشاده وصرفه عن غيِّه وطغيانه إلا  
وسلكه، ومنها الدليل والبرهان والحجة الدامغة، التي لا تُبقي لمنكرٍ أي عذر أو حجة.

"يخبر تعالى ، أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع ، جميع أنواعها العيانة ، والأفقية  
والنفسية ، فما استقام ولا ارعوى ، وإنما كذب وتولى . كذب الخبر ، وتولى عن الأمر والنهي ،  
وجعل الحق باطلا ، والباطل حقا ، وجادل بالباطل ، ليضل الناس" (5).

وتارةً بإظهاره للحق: قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٤﴾  
قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ ۗ أَسِحْرٌ هٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السّٰحِرُونَ ﴾ (6). بيّنت

الآيات الكريمة إظهار موسى عليه السلام للحق وأن هذا الحق الذي أظهره هو عقيدة راسخة في قلبه

(1) سورة طه - الآيات 47، 48، 49، 50، 51، 52.

(2) سورة هود - الآيات 96، 97.

(3) سورة طه - الآية 56.

(4) سورة الشعراء - الآيات 30، 31، 32، 33.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص254 — السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص508.

(6) سورة يونس — الآيات 76، 77.

يتخذُه منهاجاً للوصول إلى مراده، وهو إرضاء المولى سبحانه، وإقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض.

وعندما يُصر العاصي على معصيته، وتأخذ العزة بالإثم، ويبقى مستكبراً على عباد الله، ولا تنفع معه الآيات والنذر، فقد ظلم نفسه وأوردها المهالك.

"فاستكبروا تعاضموا عن قبولها ، وأعظم الكبر أن يتعاضم العبيد عن قبول رسالة ربهم بعد تبينها واستيضاحها ، وباجترامهم الآثام العظيمة استكبروا واجترؤوا على ردها"<sup>(1)</sup>. وبعد هذا الكبر والعناد المتأصل في قلب فرعون ومن سلك نهجه والإصرار على المعاصي وعدم الاستجابة لأمر الله ما كان من موسى عليه السلام إلا أن دعا على فرعون، قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾<sup>(2)</sup>. فهذا الشد على القلب، هو الصد والمنع، فبصدق دعاء موسى عليه السلام وتأمين هارون

وإخلاصهما لدعوة الله تبارك وتعالى استجاب الله سبحانه لهما، قال سبحانه: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(3)</sup>.

ولقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء موسى وتأمين هارون عليهما السلام على فرعون.

وبعد كل هذه الآيات التي جاءت في كتاب الله عز وجل، مفصلة لموقف فرعون من دعوة موسى وأخيه عليهما السلام، ولعل سبب كثرتها أن فرعون زاد عن الأمم السابقة التي كذبت رسولها أنه ادعى الربوبية والإلوهية من دون الله تبارك وتعالى، ومن هذه الآيات التي جاء من خلالها الأمر الرباني بإهلاك فرعون قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۖ كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ

(1) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص343 — أبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص180.

(2) سورة يونس — آية 88.

(3) سورة يونس — آية 89.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ<sup>١</sup> وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ<sup>٢</sup> وقوله عز وجل: ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾<sup>(2)</sup>

فكم من الفراعنة الذي رفضوا دعوة الله سبحانه، ولم يستجيبوا لنداءات الدعاة والمصلحين، كما في فراعنة هذا العصر، فكانت النتيجة أن أهلكهم الله، كما أهلك فرعون ومن سار في دربه. فكانت نهاية فرعون ومن تبعه الغرق والهلاك والعذاب الأليم، وهذه سنة من سنن الله سبحانه وتعالى في كل من كذب وأفسد وظلم وطغى "الهلاك". وهذا ما جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقَلِّتَهُ<sup>(3)</sup>

### المطلب الثالث: إعراض بني إسرائيل (اليهود)

الإعراض الدائم المتواصل الذي تمثل في هذه الفئة المتكعبة لصراط الله المستقيم، وذلك من خلال عدم الاستجابة لدعوة الرسل لهم، والتأمر على هؤلاء الرسل عليهم السلام، والتكليف بهم، ووصفهم بأشد وأفظع الصفات، وبعد هذا قتل من تمكنوا من قتله.

إن الآيات القرآنية الكريمة التي ذكرها ربنا في كتابه لهي أكبر دليل على عظم ذنب وجرم هؤلاء الذين لا يراعون عهداً، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. حتى لعنهم الله وسخط عليهم، وفي العذاب هم خالدون.

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا

(1) سورة آل عمران – الآيات 10، 11.

(2) سورة المؤمنون – آية 48.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذها ليم شديد"، حديث رقم (4409)، ج4، ص1726.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١﴾

يُبَيِّن الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى سبب لعنهم من خلال النص القرآني فيقول:

"أي لعنهم الله سبحانه في الزبور والإنجيل على لسان داود وعيسى بما فعلوه من المعاصي، كاعتدائهم في السبت، وكفرهم بعيسى، والإشارة بذلك إلى اللعن أي ذلك اللعن بسبب المعصية والاعتداء لا بسبب آخر" (2).

إن ارتكاب الذنوب والمعاصي والإصرار عليها، وعدم الندم أو التوبة منها سبيل إلى نزول العذاب من الله تعالى، وهذا ما وضحه الإمام الجصاص رحمه الله تعالى من خلال النص القرآني فقال: "قال الحسن ومجاهد والسدي وقتادة لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير، وقيل إن فائدة لعنهم على لسان الأنبياء إعلامهم الإياس من المغفرة مع الإقامة على الكفر والمعاصي، لأن دعاء الأنبياء عليهم السلام باللعن والعقوبة مستجاب، وقيل إنما ظهر لعنهم على لسان الأنبياء لئلا يوهمو الناس أن لهم منزلة بولادة الأنبياء تتجيبهم من عقاب المعاصي" (3).

لقد تفننوا في أنواع وأصناف الإعراض، ومن ذلك قولهم على الله إنه فقير وهم أغنياء، وديدنهم المستمر في قتلهم لرسول الله.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَحَنُ أَعْيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنُفُورًا ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ (4).

(1) سورة المائدة – الآيات 78 – 81.

(2) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ج2، ص66.

(3) الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن للجصاص، ج4، ص108، ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج4،

ص1182.

(4) سورة آل عمران – الآيات 181، 180.

لقد بلغ الأمر بهؤلاء المعرضين الإفتراء والكذب على الله سبحانه، بأنه فقير وهو بحاجة إليهم لأنهم هم الأغنياء، بينما تقرر العقيدة الإسلامية التي جاء بها الرسل بأن الله هو الغني ذو الرحمة الواسعة، وجميع الخلق هم الفقراء إلى الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ط وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (1).

ويخبرنا ربنا تبارك وتعالى عن مقالة اليهود الشنيعة وعقيدتهم الفظيعة، بوصفهم له سبحانه بالبخل، وأنه ممسك عن الخير والإحسان والبر تجاههم، فبين ربنا كذبهم وفسادهم وكفرهم فقال تعالى :

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿2﴾

وما أجمل هذا البيان والتفسير تجاه هذه الآية الكريمة الذي قدمه الإمام الطبري رحمه الله تعالى فقال: " وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إياه بما ليس من صفته توبيخاً لهم بذلك، وتعريفاً منه قديم جهلهم، واغترارهم به وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم، وكثرة صفحه عنهم، وعفوه عن عظيم إجرامهم" (3).

لقد بين سبحانه فسادهم وإفسادهم الدائم المستمر على مر السنين والأعوام، مروراً بقتلهم الأنبياء والرسل، وعداوتهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومحاولة قتله مراراً وتكراراً، ومحاربتهم له ولدعوة الله سبحانه، وللإسلام والمسلمين. كما حصل في الخندق عندما تأمروا مع أعداء الإسلام من المشركين للقضاء على الدعوة الإسلامية ووثداها في مهدها، لكن الله سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد. وما زال هذا العداة والقتل والتشريد إلى يومنا هذا، فقد قاموا بسرقة واحتلال أرض فلسطين، وطرد أصحابها الأصليين منها، وقتلهم وتشريدهم في كثير من بقاع الأرض، وحتى يومنا هذا ما زال الشعب

(1) سورة فاطر — آية 15.

(2) سورة المائدة — آية 64.

(3) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص299.

الفلسطيني خاصة والأمة العربية عامة يتجرعون كأس العذاب من هذا المحتل الظالم المجرم، من خلال السجن والحصار والاستيطان وسلب الحريات.

ولا ننسى الفساد الذي يقومون به بشتى أنواعه، من فساد أخلاقي، حيث يقومون ببث الرذيلة والانحطاط، من خلال بث الأفلام الساقطة، وترك الأبواب مشرعة للأماكن التي يمكن أن يجلبوا إليها الشباب لإسقاطهم فيها، ليفتوا من عضد شباب هذه الأمة.

ولا ننسى الإفساد السياسي والاقتصادي وكل أنواعه على المستوى المحلي والعالمي.



## المبحث الرابع

### آثار الإعراض في الدنيا والآخرة

كما أن الاستجابة لها آثارها على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، كذلك الإعراض له آثاره في الدنيا والآخرة.

أما آثاره في الدنيا، فجاءت ضمن المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: آثار الإعراض في الدنيا

##### الفرع الأول: الضنك والشقاء والفوضى

إن الضيق والشقاء والفوضى الذي يحياه معظم الناس، أو الأمم، وبخاصة الأمة الإسلامية، إنما سببه واحد، هو البعد عن دين الله تبارك وتعالى، فقد قرر الله سبحانه في كتابه، أن الذي يسير على نهجه ويتبع أمره تكون حياته هنيئة طيبة مطمئنة، والذي يسير على غير هذا تصبح حياته ضنكاً وشقاءً وفوضى، قال سبحانه: ﴿ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا حَمِيْعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۗ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۗ ﴾ (1).

"الضنك : الضيق من كل شيء، ومعيشة ضنك ضيقة. وكل عيش من غير حلِّ ضنك وإن كان واسعاً، وكل ما ضاق فهو ضنك" (2).

إن البعد والإعراض عن الله ضنك بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، أن كل ما يصيب الإنسان من شقاء وتعاسة واضطراب سببه الإعراض عن الله تبارك وتعالى .

وبينَ الشيخ الإسماعيلي رحمه الله تعالى: " أن الضنك والشقاء الذي يصيب المُعرض عن الله إنما يحصل له في الدنيا لقوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ ذِكْرِي عَن فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۗ ﴾ بين أن المعيشة الضنك قبل يوم القيامة" (3).

(1) سورة طه - الآيات 123، 124.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص462.

(3) الإسماعيلي، أبو بكر أحمد بن إبراهيم (371هـ) اعتقاد أئمة الحديث، دار العاصمة - الرياض (1412هـ) ط1، تحقيق: محمد

عبد الرحمن الخميس، ج1، ص70.

وَيُبَيِّنُ الإمام الزمخشري رحمه الله تعالى، عما يلاقه المعرض في الدنيا عن خلال نص الآية الكريمة السابقة ويقول: "والمعرض عن الدين، مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك وحاله مظلمة، كما قال بعض المتصوفة: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه"<sup>(1)</sup>.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿<sup>(2)</sup>﴾. فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقريته من الشياطين، وضلاله به إنما كان بسبب إعراضه، وعشوه عن ذكره الذي انزله على رسوله، فكان عقوبة هذا الإعراض أن قيض له شيطاناً يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه مهتد حتى إذا وافى ربه يوم القيامة مع قريته وعاین هلاكه وإفلاسه"<sup>(3)</sup>. قال: ﴿ يَلِيَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾<sup>(4)</sup>.

إن كل من يعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله، يبقى يتخبط في ضلاله وغيه إلى يوم القيامة، إن لم يدرك نفسه، ويعود إلى صوابه ورشده، ليحرر نفسه من هذا الضنك والشقاء الذي حل به بسبب إعراضه عن الله سبحانه وتعالى.

### الفرع الثاني: تسلط الأمم الأخرى على الأمة الإسلامية

من آثار الإعراض في الدنيا، تسلط واستيلاء الأمم الكافرة، على الأمة الإسلامية المعرضة، التي أصيبت بالوهن والضعف والتأخر بسبب عدم تطبيقها لأمر الله تبارك وتعالى، وهذا ما بينه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال الحديث الشريف الذي روي "عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها قال قلنا يا

<sup>(1)</sup>الزمخشري، الكشاف، ج3، ص95.

<sup>(2)</sup>سورة الزخرف - الآيات 36، 37.

<sup>(3)</sup>الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب (ت751هـ) مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية - بيروت، ج1، ص44.

<sup>(4)</sup>سورة الزخرف - الآية 38.

رَسُولَ اللَّهِ أَمِينَ قَلِيلًا بِنَا يَوْمَئِذٍ، قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُنَاءً كَعُنَاءِ السَّيْلِ يَنْزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ<sup>(1)</sup>.

بَيَّنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَنْتَزِعُ مِنْهَا الْمَهَابَةَ، وَيَصِيبُهَا الْوَهْنَ، رَغْمَ كَثْرَتِهَا لَتَكَالِبَهَا عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا، الَّتِي هِيَ السَّبَبُ الرَّئِيسُ لِلْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَعَدَمِ حُبِّ الْآخِرَةِ، الَّتِي هِيَ مَطْمَعُ كُلِّ مُسْتَجِيبٍ لِأَمْرِ خَالِقِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وتصف الباحثة آلاء صالح حال المسلمين اليوم فتقول:

"إنَّ الحَالِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ يَحْزَنُ لَهَا قَلْبُ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَتَدْمَعُ عَيْنُهُ، وَتَأْسَى نَفْسُهُ، فَقَدْ تَكَالَبَ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ، وَسَامَوْهُمُ سُوءَ الْعَذَابِ، وَانْتَهَكُوا أَعْرَاضَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ، وَمَزَقَتْ الْمُسْلِمِينَ التَّعَصُّبَاتِ الْمَذْهَبِيَّةَ وَالْمَنَاهَجِ الْحَزْبِيَّةَ وَالْقَوْمِيَّاتِ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْبَدْعَ الْمَحْدَثَةَ، أضعف المسلمين تتاحرهم وتفرقهم ولأهواء الضلالة وإتباع الشهوات المحرمة، وليس ذلك الضعف والانحطاط والذلة لقلة عدد المسلمين، فهم أكثرُ أهل الأديان عدداً، إنما مُصَابُ الْمُسْلِمِينَ بِالنَّقْصِيرِ بِالْعَمَلِ بِدِينِهِمْ"<sup>(2)</sup>.

لقد أراد الله سبحانه وتعالى العزة لهذه الأمة، والرفعة والكرامة، وأن تبقى هي سيدة الأمم، وأن هذه العزة لا يستشعر بها ولا يتذوقها إلا المؤمن الصادق بإيمانه، استجابة لقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

وما أجمل كلام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أجرى الله سبحانه الحق على قلبه ولسانه وهو يتحدث عن عزة المؤمن وقوته: "المؤمن كريم على ربه يدل بزلفاه على خلقه فمن عرض له بسوء عارضه بإذن الله معتزاً بالله"<sup>(4)</sup>.

(1) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (22450) ج5، ص278 — أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني

الأزدي (ت275هـ) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم (4297) ج4، ص111.

(2) صالح، آلاء جهاد فوزي، رسالة ماجستير بعنوان الإعراض ونظائره في القرآن الكريم "دراسة موضوعية" كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية — غزة (1431هـ — 2010م) ص168.

(3) سورة المنافقون — آية 8.

(4) الترمذي، أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسين (360هـ) نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ج1،

ص175.

والذي يَنْبَيِّنُ مما سبق أن الإعراض يأتي على الأمة بالويلات والمصائب والضنك، فتصبح تبعاً للدول الكافرة في كل ميادين الحياة، ولا يكون لنا أي وزن بين باقي الدول، وأن الاستجابة والطاعة تأتي بالعزة والرفعة والقوة والسعادة والطمأنينة وسعة الرزق، والمحافظة على موقع الصدارة بين الأمم، كما كنا من قبل خير أمة أخرجت للناس.

### الفرع الثالث: الهلاك

إنه العقاب الذي يحل بالأمم عندما تتعد عن منهج الله سبحانه، فلا تستجيب له، سرعان ما يحل بها الهلاك كما حل بمن أعرض ووجد من قبل، وقد بيّن سبحانه ذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾<sup>(1)</sup>.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "يقول تعالى مخاطبا عباده المؤمنين لما أصيبوا يوم أحد وقتل منهم سبعون، (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) أي قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين، ولهذا قال تعالى (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)"<sup>(2)</sup>.

إن المتمعن في هذه السنة الربانية، توجب أخذ العبرة والعظة من خلال النصوص القرآنية، التي تبين وتوضح ما حصل للأمم السابقة التي أعرضت وكذبت بآيات الله تبارك وتعالى.

كما قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله:

"أي قد مضى من قبلكم أهل سنن , فانظروا ما صنعنا بالمكذبين منهم"3

إن هذا الذي حلّ بهم كان جزاء ما اقترفته أيديهم، فانظر كيف دمرهم ربهم عن بكرة أبيهم، لأنهم أصروا على الكفر والضلال، ولم ينتفعوا بآيات الله التي تنلّ عليهم بكرة وأصيلا،

(1) سورة ال عمران – آية 137.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص409.

(3) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي(ت597)تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ج1، ص99.

وما تدمير الله للكافرين والظالمين والمعارضين في الوقت الحاضر بين عشية وضحاها، كما حصل للإتحاد السوفيتي، وكما يحصل لكل الظالمين، إلاّ ببعدهم وإعراضهم عن الله سبحانه، لكن الذي ينتفع بهذه الآيات تكون له عظة وخير في الدنيا والآخرة.

#### الفرع الرابع: زوال النعم

كما إن شكر الله وطاعته تديم النعم، فإن الكفر بها والإعراض مدعاة لزوال هذه النعم، وهذا هو وعد الله سبحانه، وسنته التي لا تتغير، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ<sup>ط</sup> وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ<sup>١</sup> ﴾

الحق سبحانه يخاطب بني إسرائيل، ويقول لهم: هذه النعم التي أنعمتها عليكم، إن شكرتموني عليها زدتك مني، ولئن كفرتم هذه النعمة، فجددتموها بترك شكري عليها، أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي، وهذا ما ذكره الفاروق عمر رضي الله عنه في خطبته عندما قال: "أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله عز وجل الذي يبقي ويغني كل شيء سواه، الذي بطاعته ينفع أوليائه وبمعصيته يفني أعداءه".<sup>(2)</sup>

إن هذه النعم تبقى وتدوم للذين يستحقونها، الذين يؤدون ما يستوجب بقاءها ودوامها، وقدم

الله سبحانه وتعالى أروع الأمثلة في كتابه، لبيان هذه السنة الإلهية من قوم سبأ حيث قال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ<sup>ط</sup> جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ<sup>٣</sup> بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ<sup>٣</sup> ﴾

فكانوا يتنعمون بنعم الله لكنهم أعرضوا، فأذهب الله عنهم هذه النعم، وأصبحوا حديث الناس.

فبعد أن كانت النعم والخيرات تغدق عليهم من كل جانب، أصبحوا بحاجة إلى من يمد لهم يد العون، لأن مصيرهم كان الهلاك.

(1) سورة ابراهيم آية 7

(2) الواقي، ابو عبدالله بن عمر (ت207) فتوح الشام، دار الجبل - بيروت، ج1، ص239.

(3) سورة سبأ - آية 15.

وقد تناول الشيخ الصحاري قصة قوم سبأ بالتعليق فقال: "إن الله تعالى أرسل إليهم رسلاً، فدعتهم إلى الله عز وجل، وأمرتهم بالشكر لما منّ الله عليهم من نعمة، فكذبوهم. وقالوا: ما نعرف الله علينا من نعمة، ومازلنا في هذا الذي نحن فيه، وآباؤنا من قبلنا، وهذا من عمل آبائنا".<sup>(1)</sup>

ولما أصروا على الإعراض، ولم يشكروا الخالق الذي أغدق عليهم نعمه، فتحوّلت هذه النعمة إلى نقمة وعذاب، وذلك مما صنعه أيديهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم، مصداقاً لقوله تعالى

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ  
وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾.<sup>(2)</sup>

جاء في تفسير الإمام القرطبي رحمه الله تعالى الآية الكريمة:

"فأعرضوا: يعني عن أمره وإتباع رسله، بعد أن كانوا مسلمين، وكثرت أموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفأر فنقب الردم قال وهب: كانوا يزعمون أنهم يجدون في علمهم وكهانتهم أنه يخرب سدهم فأرة، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة، فلما جاء ما أراد الله تعالى بهم، أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك الهرر، فساورتها حتى استأخرت عن الصخرة، ثم وثبتت ودخلت في الفرجة التي كانت عندها، ونقبت السد حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل دخل تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم".<sup>(3)</sup>

إنهم ظنوا أن هذا السور سيحميهم من سطوة الله سبحانه، لكن هيهات هيهات، فقد آتاهم الله من حيث لم يحتسبوا. وقيل: "إنما بنو ذلك لئلا يغشى السيل أموالهم فتهلك"<sup>(4)</sup>.

فالعودة إلى الله، والسير على طريقه المستقيم، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، هي أسباب تحافظ على دوام هذه النعم، وتمنع بإذن الله ذهابها وزوالها. كما بين الصالحون من أمثال سهل بن عبد الله

(1) الصحاري، سلمة بن مسلم بن إبراهيم (ت511هـ)، الأنساب للصحاري، ج1، ص226.

(2) سورة سبأ، آية 16.

(3) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص285.

(4) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، التبصرة، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، مصر - لبنان (1390-1970)

ط1، تحقيق: عبد مصطفى عبد الواحد، ج1، ص316.

(1): استرجع سالف الذنوب بشدة الندم، وكثرة الاستغفار، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم". (2)

إن النعم من الله سبحانه، ودوامها يكون بدوام الطاعة والاستجابة، وليس الإعراض والإنكار، والأموال والنعم قد تكون ابتلاءً واستدراجاً للإنسان.

### الفرع الخامس: إنتشار الخوف والجوع

إن من سنن الله عز وجل أن يعطي المؤمن الصادق الأمن، وللمجتمع الأمان والطمأنينة، وأن يجنبهما الخوف والجوع والاضطراب.

كما بين سبحانه في كتابه: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (3).

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: إن هذه القرية هي مكة المكرمة. "مكة فإنها آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمناً لا يخاف، جددت آلاء الله عليها وأعظمها بعثة محمد ﷺ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف". (4)

فهذه القرية كانت آمنة فأعرضت فأصابها الخوف والجوع. كما بين ذلك الإمام الرازي رحمه الله تعالى عندما قال: "إعلم أنه تعالى لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة، هدهم أيضاً بأفات الدنيا، وهو الوقوع في الجوع والخوف، كما ذكره في هذه الآية". (5)

(1) أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن ربيع التستري تخرج عن خاله محمد بن سوار ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم عامة كلامه في تصفية الأعمال وتنقية الأحوال عن المعاييب والأعلال - الأصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبدالله (ت430)، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي - بيروت، (1405)، ط4، ج10، ص200.

(2) المرجع السابق، ج10، ص200.

(3) سورة النحل آية 112.

(4) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير ابن كثير، ج2، ص590.

(5) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، مفاتيح الغيب، ج2، ص102.

هذا وقد منّ الله سبحانه على أهل مكة بنعم كثيرة، وفي مقدمتها الأمن من الجوع والخوف، كما قال تعالى: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ۖ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (1).

يقول الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى :

"هذه هي المنة التي يذكرهم الله بها - بعد البعثة - منة إيلافهم رحلتي الشتاء والصيف، ومنة الرزق الذي أفاضه عليهم بهاتين الرحلتين - وبلادهم قفرة جفرة، وهم طاعمون هانئون من فضل الله.

ومنة أمنهم الخوف، سواء في عقر دارهم بجوار بيت الله، أم في أسفارهم وترحالهم في رعاية حرمة البيت، التي فرضها الله وحرسها من كل إعتداء.

يقول لهم: من أجل إيلاف قريش: رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي كفل لهم الأمن، فجعل نفوسهم تألف الرحلة.

وكان الأصل - بحسب حالهم أرضهم - أن يجوعوا، فأطعمهم الله وأشبعهم من هذا الجوع وآمنهم من خوف، وكان الأصل - بحسب ما هم فيه من ضعف، وبحسب حالة البيئته من حولهم - أن

يكونوا في خوف فأمنهم من هذا الخوف.

وهو تذكير يستجيش الحياء في النفوس، ويثير الخجل في القلوب، وما كانت قريش تجهل قيمة البيت وأثر حرمة في حياتها، ولكن انحراف الجاهلية لا يقف عند منطق، ولا يثوب إلى حق، ولا يرجع إلى معقول." (2)

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم، جحدوا نعمة الله ولم يشكروها، وأعرضوا عن الله حتى بدل الله حالهم من الرغد والهناء إلى الضيق والبأساء.

وهو سبحانه يخاطب الناس، ويضرب لهم الأمثلة من أجل أن يعودوا إلى جادة الصواب، ويحذروا سبل الشيطان، لأن السير في طرق الشيطان ستؤدي بهم إلى الهلاك وزوال النعم عنهم." فضررها الله

(1) سورة قريش.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3982.



مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها "مُطْمَئِنَّةً" لا يزعجها خوف، لأن الطمأنينة مع الأمن ، والانزعاج والقلق مع الخوف". (1)

إن الذي يحافظ على صلته بالله سبحانه، فإن رعاية الله تلازمه وترعاه، فما أجمل رعاية الخالق سبحانه! وبإلها من رعاية إذا نالها العبد من خالقه، فلن يضره شيء ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك. أما إذا انقطعت صلة العبد بربه، فإن الرعاية الربانية تتخلف عنه، قال الإمام الطبري رحمه الله مستنداً إلى الآية الكريمة: "وقوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف، يقول تعالى ذكره فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها

وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله ﷺ حتى أكلوا العلهز (2)، وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله ﷺ التي كانت تطيف بهم". (3)

ولا سبيل لنا إلا أن نشكر الله تبارك وتعالى صاحب هذه النعم العظيمة، حتى تستمر هذه النعم، وإلا سرعان ما تزول، وجاء في كتاب ابن الأزرق: "أن حقيقة الشكر تصريف النعمة في الطاعة فإذا أنعم على عبده بنعمة فصرفها في طاعته فقد شكرها وإن صرفها في معصية فقد كفرها". (4)

إن الذي يحصل في واقعنا الحاضر، لهو أكبر دليل على صحة وصدق هذا المطلب، فهذه روسيا الاتحادية كما يقولون، أعرضت عن الله سبحانه، واتخذت لها أنداداً من دون الله، فأصبحوا يتوسلون الدول، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما صنعتهم أيديهم.

وعندما ينتشر في المجتمعات الفساد، وتزداد الفوارق الطبيعية، وينتشر الفقر، لا بد من تدخل القوة الإلهية، فكانت المعاناة العالمية الناتجة عن الأزمات العالمية في المال والاقتصاد.

---

(1) الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف، ج2، ص596 — ابن هبة الله، علي بن الحسن الشافعي (ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر — بيروت (1995م)، تحقيق: محب الدين العمري، ج12، ص131.

(2) العلهز: وير يخلط بدماء اللحم كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجذب، وفي حديث عكرمة: كان طعام أهل الجاهلية العلهز. العلهز: الوبر مع دم اللحم، وإنما كان ذلك في الجاهلية، يعالج بها الوبر مع دماء اللحم يأكلونه — ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين، (ت711هـ)، لسان العرب، ج5، ص381 — الفراهيدي: الخليل بن أحمد، العين، ج2، ص278 — الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ج3، ص171.

(3) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج14، ص187.

(4) ابن الأزرق، (ت569هـ)، بدائع السلك، وزارة الإعلام — العراق، ط1، تحقيق: د علي سامي النشار، ج1، ص453

وعند انتشار الزنا، وأصبح الزنا والتعري شيئاً طبيعياً، واشتداد الحاجة والفاقة، وإنكار الناس بعضهم لبعض، فعليهم أن يتوقعوا واحدة من الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات وانتشار الأمراض، وما تسونامي الذي حصل في منطقة اندونيسيا ليس منا ببعيد، حيث حدث زلزال لم ير العالم مثله من قبل أدى إلى مقتل ما لا يقل عن 170 ألف شخص في المناطق الساحلية.

وعندما يبتعد الفرد عن ربه سبحانه، ويغرق في المعاصي من شهوات وملذات، ولا يتعظ لا بنفسه ولا بغيره، فإن الجوع والخوف سيكونان مصيره، لأن هذه سنة من سنن الله تبارك وتعالى، وما حصل لكثير من الأفراد في أيامنا هذه، من جوع وفقر وفقدان للأمن، بعد أن كانوا يملكون المليارات، وأصبحوا بين عشية وضحاها لا يملكون شيئاً من حطام هذه الدنيا الفانية.

### المطلب الثاني: آثار الإعراض في الآخرة

إن الإعراض عن الله سبحانه وشرعه، كما يترتب عليه آثار ونتائج في الدنيا كما سبق، فإن آثاراً تترتب عليه في الآخرة، الدار الباقية، التي ينبغي أن يكون حرص الإنسان عليها أكثر من دار الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۗ ﴾<sup>(1)</sup>.

الله سبحانه يحدد لنا المبتغى وهي الدار الآخرة، ويذكرنا بعدم نسيان الدنيا، لأن الدنيا من الآخرة قليل. وقد جاء هذا المبحث من خلال مطلبين:

### الفرع الأول: النسيان للمعرض

عندما يفصل الله سبحانه بين الناس يوم الحساب، فيذهب أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، ينادي أهل النار أهل الجنة أن يفيضوا عليهم من نعم الله في الآخرة، فيردون عليهم بتحريمها عليهم لأنهم أعرضوا عن دين الله واتخذوه لهواً ولعباً.

ولقد سجلت الآيات القرآنية ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۗ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۗ ﴾

(1) سورة القصص – آية 77.

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا

لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا مُجْحَدُونَ ﴾ (1).

ويقول الإمام الطبري رحمه الله تعالى مفسراً هاتين الآيتين:

" وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة، عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع، عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم في الدنيا، من ترك طاعة الله، وأداء ما كان فرض عليهم فيها في أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة، الذين كفروا بالله ورسوله الذين اتخذوا دينهم الذي أمرهم الله به لهوا ولعباً." (2)

وجاء في آية أخرى عقاب الله لهذا المعرض، من حشره يوم القيامة أعمى، فيكون الجواب النسيان له، قال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ (3) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا <sup>ط</sup> وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ (3).

يقول الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى:

" ولقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه، أسرف فألقى بالهدى من بين يديه وهو أنفس ثراء وذخر، وأسرف في إنفاق بصره في غير ما خلق له، فلم يبصر من آيات الله شيئاً، فلا جرم يعيش معيشة ضنكاً، ويحشره يوم القيامة أعمى." (4).

فهذه هي الخاتمة، إما أن يحشر العبد أعمى، فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين. وإما إن يحشر إلى الرحمن مكرماً منعماً، مع الذين يحشرون إلى ربهم وفداءً، فيكون من الفائزين الناجين.

(1) سورة الأعراف — الآيات 50، 51.

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج8، ص201.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2356.

(4) سورة طه — الآيات 125، 126.

لذا على الإنسان أن يدرك ويعي، ما هي الطريق التي اختارها لنفسه، هل هي الطريق التي توصلك إلى آيات الله لتنتفع بها وتعمل بها، أم الطريق التي تبعدك عن الإيمان بآياته سبحانه ونسيانها، وعدم العمل بها.

ويقول الإمام الواحدي رحمه الله تعالى أن سبب حشره أعمى عدم إيمانه بآيات الله سبحانه "يقول كما أتتك آياتي فتركتها ولم تؤمن بها تترك في جهنم" (1).

ويبين الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن الذي يعمل بكتاب الله ولم ينس آيات الله يبقى في حفظ ورعاية من الله في الدنيا والآخرة. قال ابن عباس: "تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة" (2).

إن رحمة الله تبارك وتعالى لن تنال هؤلاء، فهم أبعد مما يكون من هذه الرحمة، التي وسعت كل شيء، حرما منها لأنهم لم يلتفتوا إلى آيات الله ولم يتعظوا بها فكان هذا مآلهم.

ويتابع شيخ الإسلام ويبيّن أكثر عن الآية الكريمة السابقة: "فأخبر أن الضالين في الدنيا يحشرون يوم القيامة عميانا وبكما وصما فإن الجزاء أبدا من جنس العمل" (3).

### الفرع الثاني: عذابهم في نار جهنم

إن المعرض عن الله سبحانه، ينتظره عذاب شديد في الآخرة، قال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۖ﴾ (٤) خَلْدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿٤﴾.

بيّنت الآية الكريمة مصير وجزاء هؤلاء المعرضين، مصيرهم النار جزاءً وفاقا. وهذا أيضاً ما تحدث عنه الإمام الطبري في تفسيره حيث قال: "يقول تعالى ذكره خالدين في وزرهم، فأخرج الخبر جل

(1) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، ص708.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني، توحيد الألوهية، ج1، ص122.

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني، علم الحديث - من مجموع الفتاوى، مكتبة ابن تيمية، ط2، تحقيق: عبد الرحمن بن

محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ج18، ص175.

(4) سورة طه - الآيات 99، 100، 101.

ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم والمعنى أنهم خالدون في النار بأوزارهم ولكن لما كان معلوماً المراد من الكلام اكتفي بما ذكر عما لم يذكر<sup>(1)</sup>.

إن هذا القرآن يشتمل على جميع العبادات والطاعات، والإعراض عنه وعدم العمل به هو رفض لأمر الله كله، وبذلك يستحق الوعيد من الله جل في علاه، يقول الإمام ابن كثير متحدثاً عن الآية الكريمة: "يعني من اعرض عن هذا القرآن واتبع غيره من الكتب فإنه يناله هذا الوعيد"<sup>(2)</sup>.

كما يبين الله سبحانه في آية آخري، أن النار مصير المعرضين، الذين فضلوا طريق الغواية على طريق الهدية، فقال سبحانه: ﴿ وَالْوَالِدُ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾<sup>(3)</sup>.

إن المعرض عن الله تبارك وتعالى سيلاقي أصنافاً شتى من العذاب، كما يذكر الصحابي الجليل عبد الله بن عباس مفسراً معنى صعداً في الآية الكريمة "وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا" عن عكرمة، عن ابن عباس، "قال جبل في جهنم"<sup>(4)</sup>. "أي ندخله عذاباً يكون مطرفاً له كالخيوط يكون في ثقب الخرزة في غاية الضيق "صعداً" أي شاقاً شديداً يعلوه ويغلبه ويصعد عليه، ويكون كل يوم أعلى مما قبله جزاء وفاقاً، فإن الأعراض كلما تمادى زمانه كان أقوى مما كان"<sup>(5)</sup>. وقد وصف ربنا سبحانه هذه النار التي تنتظر الكافرين المعرضين عن الله سبحانه، فهي تصدر صوتاً منكرًا كصوت الحمار، وهي تغلي، وتكاد تنقطع من شدة الغيظ على أهلها، قال سبحانه: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٥٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٥٨﴾ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾<sup>(6)</sup>.

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج16، ص210.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، ص198.

(3) سورة الجن - الآيات 16، 17.

(4) البيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني (ت458هـ) البعث والنشور، ج2، ص8 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص19 - ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ج4، ص432.

(5) البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج8، ص194.

(6) سورة الملك - الآيات 7، 8.

## المبحث الخامس

### طرق علاج الإعراض

لقد تكفل الله سبحانه لكل من أصيب بمرض الإعراض، وعزم العودة إلى ربه مقبلاً صادقاً منيباً، أن يخلصه منه ومن تبعاته، فقد جعل الله باب التوبة مفتوحاً أمام عباده المقبلين عليه، حيث قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(1)</sup> وهناك طرق لعلاج هذا الإعراض، إن سلكها المعرض تعافى من كل ما أصابه، وقد أجملت هذه الطرق بثلاثة مطالب وهي على النحو الآتي:

#### المطلب الأول: الإخلاص في نية التوبة

إن صدق النية والإخلاص فيها، سبيل إلى صدق العمل، لأن العمل يتبع النية الصادقة، كما بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف، الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله وهو على المنبر يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه<sup>(2)</sup>. يبين صلى الله عليه وسلم أن أساس الأعمال النية الصادقة، فالصدق وإخلاص النية يجعلان العمل مقبولاً بإذن الله تعالى، وهذا ما أكد عليه الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى حيث قال: "إن بدء الوحي كان بالنية لأن الله تعالى فطر محمداً على التوحيد، وبغض إليه الأوثان، ووهب له أول أسباب النبوة وهي الرؤيا الصالحة، فلما رأى ذلك أخلص إلى الله في ذلك فكان يتعبد بغار حراء فقبل الله عمله وأتم له النعمة"<sup>(3)</sup> ويبيّن الحق تبارك وتعالى ما للنية الصادقة من مكانة في العمل، وكيف هي أصل الأعمال. قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(4)</sup>.

(1) سورة الشورى - آية 25.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (1)، ج1، ص3.

(3) ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج1، ص11.

(4) سورة النساء - آية 100.

ويتناول هذه الآية الإمام القرطبي فيقول: "ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وبديل أن النية الصادقة هي أصل الأعمال فإذا صحت في فعل طاعة فعجز عنها صاحبها لمانع منع منها فلا بعد في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر الفاعل"<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: الإصغاء لتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم

إن الالتزام بتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم سبيل من سبل معالجة الإعراض، لأن الله سبحانه أمرنا بذلك. قال عز وجل: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ <sup>ط</sup> إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾<sup>(2)</sup>.

تُبَيِّنُ الآية الكريمة وجوب الأخذ بما جاء به الرسول صلى الله عليه، لأنه بهذا الأخذ تتحقق الطاعة والاستجابة، وبعدمه يحل الإعراض ويسكن في قلوب الغافلين. وهذا ما وضعه الإمام السعدي رحمه الله تعالى حيث قال: "وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول، يتعين على العباد الأخذ به وإتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء، كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله"<sup>(3)</sup>.

وهل تكون الطاعة وخلع لباس الإعراض؟ إلا بامتثال أمره والالتزام بتوجيهاته صلى الله عليه وسلم. قال سبحانه: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينِ ﴾<sup>(4)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ <sup>ط</sup> فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾<sup>(5)</sup>.

فجاء التأكيد بتكرار لفظ الطاعة لله سبحانه وللرسول صلى الله عليه وسلم، وهي طاعة مطلقة.

<sup>(1)</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص293.

<sup>(2)</sup> سورة الحشر — آية 7.

<sup>(3)</sup> السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص851.

<sup>(4)</sup> سورة النور — آية 54.

<sup>(5)</sup> سورة النساء — آية 59.

إنها الهداية التي تُنير الطريق إلى كل من أحب أن يعود إلى فطرته السليمة، فطرة التوحيد، قال سبحانه: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1).

وقد جاء في كتب السيرة أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله ﷺ فقال:

يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنتظر فيها لعلك تقبل منها بعضها

قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، قل يا أبا الوليد أسمع قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله يستمع منه قال أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل (2).

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَم تَتْرِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (3).

فعلى الرغم من بطلان الدعوى، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم يعطي عتبة حقه في الكلام ويستمع إليه.

فهذا درس عظيم ليتعلم الداعية والمدعو والمعلم والطالب أدب الإصغاء والاستماع النشط، حتى وإن كان الكلام الذي يقال مرأً وقاسياً، دون سخرية أو استهزاء بالخصوم والمجادلين.

(1) سورة الروم — آية 30.

(2) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، السيرة النبوية، دار الجب: بيروت (1411هـ) ط1، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ج2، ص131.

(3) سورة فصلت الآيات 1، 2، 3، 4.



وقصة الفاروق عمر بن الخطاب ليست ببعيدة عنا، عندما كان يعيش في بحار الإعراض المتلاطمة، تموج به موجاً لا يعلم أين السبيل؟ فوجده عند الحبيب صلى الله عليه وسلم، عندما رده عن إعراضه، وجذبه جذبةً من صدره وقال له أما أن لك أن تسلم يا عمر؟ فأجاب الفاروق عمر أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. يتناول الإمام الزمخشري الآية معقّباً فيقول: "وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان ، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه ، وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى ، فالنفع والضرر عائدان إليكم ، وما الرسول إلا ناصح وهاد" (1). فمن إتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وسلك نهجه فقد ضمن الهداية بإذن الله تبارك وتعالى. إن بداية الإتيان تتوقف على العلم بهذه الطريق، ثم الاستقامة عليها كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "من علم الطريق إلى الله سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة الرسول في أحواله وأقواله وأفعاله" (2).

وكون هذه الأمة لا تصلح إلا بما صلح به أولها، من إخلاصها لله، وانقيادها لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى تعود إلى سابق عهدها أمة رائدة قائمة، أستاذة للعالم، وما لم تعد الأمة إلى ذلك فإنها ستبقى في ذيل القافلة.

### المطلب الثالث: طرق معالجة الإعراض عن الدين

إن لمعالجة الإعراض عن الدين طرقاً ووسائل كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1— الاستقامة على دين الله، وهي الوسطية التي وصف بها الله الأمة الإسلامية، والتي استحقت بها أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

2— العلم الشرعي، فالعلم هو العاصم — بإذن الله — من الوقوع في كثير من الزلات، كما قال صلى الله عليه وسلم: "يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين" (3).

3— الالتزام بمذاهب السلف وفهمه على وفق ما ورد عنهم، ونشره بين العامة.

(1) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص255.

(2) ابن تيمية، الاستقامة، ج1، ص98.

(3) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج10، ص209.

4- تمكين العلماء الربانيين المخلصين من توجيه الجماهير وفتح القنوات الإعلامية لهم"

5- محاسبة المجتمع والدولة على ما يضحخ الإعلام من انحراف خلقي، وما يخالف العقيدة والآداب، ومنع المساس بالدين وأهله.

6- ضرورة العدل وإعطاء الناس حقوقهم، سواء كانت مالية أو سياسية أو اجتماعية، والقضاء على الظلم" (1).

#### المطلب الرابع: طرق معالجة المعرض عن الطاعات من أهل الدين:

لقد بين المولى تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز، أن المؤمن قد يبتعد عن طريق الله في بعض أحيانه، فبين له المولى تبارك وتعالى طريق الرجوع والعودة إلى حيث كان وذلك بالتوبة الصادقة، والندم على ما صدر منه تجاه خالقه سبحانه. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (2).

وأن الشيطان لا يترك المؤمن عابداً لربه شاكراً لأنعمه، إنما يحاول أن يعترض طريقه ويبعده عن ذلك بكل الوسائل الخبيثة، التي سرعان ما يبصرها المؤمن، ويتذكر طريق الحق التي تأسس وتربى عليها، لأن المؤمن قد التحىء واعتصم بالله ، واحتم بحماه، مصداقاً لقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (3).

وهذا ما بينه الإمام السعدي رحمه الله تعالى من خلال تفسيره لهذه الآيات الكريمة:

ولما كان العبد لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطاً ، ينتظر غرته وغفلته ، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين ، وأن المتقي إذا أحس بذنب ، ومسه طائف من الشيطان ،

(1) انظر: <http://www.saaaid.net/book/search.php?do=all&u>

(2) سورة التحريم — آية 8.

(3) سورة الأعراف — الآيات، 200، 201

فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب تذكر من أي باب أتى ، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه ،  
وتذكر ما أوجب الله عليه ، وما عليه من لوازم الإيمان ، فأبصر واستغفر الله تعالى ، واستدرك ما  
فرط منه بالتوبة النصوح ، والحسنات الكثيرة ، فرد شيطانه خاسئاً حسيراً ، وقد أفسد عليه كل  
ما أدركه منه<sup>(1)</sup> .

---

<sup>(1)</sup>السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج1، ص313.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تُنال الدرجات، نحمده على نعمه العظيمة، وكرمه الجليل، له الحمد في كل وقت وفي كل حين، خلق فسوى، قدر فهدى، سبحانه جل في علاه، الذي أعانني على إتمام هذا البحث، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففي ختام هذه الرسالة وبعد استعراض موضوع الاستجابة والإعراض في القرآن الكريم، والوقوف على أقوال أهل العلم من لغويين ومفسرين وغيرهم حول موضوع الاستجابة والإعراض، لا بد من إبراز أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة:

1. يُبيّن ربنا تبارك وتعالى أن الذين يستجيبون هم الذين يسمعون طلباً للحق ، أما الذين لا يريدون السماع فلا يكون منهم استجابة .

2. الاستجابة حكمها واجبة ، والإعراض مخالفة يترتب عليها الضنك والشقاء والعذاب .

3. للاستجابة آداب منها ، التواضع ، التسامح ، العطاء .

4. لاستجابة في الاستعمال الشرعي تأتي بعدة معاني منها :الإيمان ، العمل ، السمع والطاعة

5. الاستجابة لله سبحانه وتعالى لها عدة أنواع منها : الاستجابة العامة للدعوة إلى الله ، الاستجابة في تطبيق أحكام الله عز وجل .

6. الاستجابة لها أسباب متعددة منها : طاعة الله سبحانه وتعالى ، الطمع في تحصيل الخير ، الحب لله ورسوله وللمسلمين .

7. الاستجابة لها آثارها وفوائدها في الدنيا والآخرة .

8. آثارها الاستجابة في الدنيا : الطمأنينة والاستقرار ، البركة في الرزق وكثرة النعم والخيرات ، استعلاء المؤمن ، رسوخ الإيمان في القلب .

9. آثار الاستجابة في الآخرة: رضا المولى تبارك وتعالى ، الخلود في الجنان ، صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم في جنة الخلد .

- 10 الإعراض عن الله له أسباب متعددة منها : الكبر ، حب الدنيا ، عدم الاحتكام لشرع الله ، عدم الامتثال لتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم .
- 11 للإعراض صور منها ما هو ممدوح ومنها ما هو مذموم .
- 12 للإعراض عن الله سبحانه وتعالى آثار في الدنيا و الآخرة .
- 13 آثار الإعراض في الدنيا : الضنك والشقاء والفوضى ، تسلط الأمم الأخرى على الأمة الإسلامية، الهلاك ، زوال النعم ، انتشار الخوف والجوع .
- 14 آثار الإعراض في الآخرة : النسيان للمعرض ، العذاب الأليم .
- 15 من طرق علاج الإعراض عن الله سبحانه وتعالى : الإخلاص في نية التوبه ، امتثال أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم .

## قائمة المصادر والمراجع

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - 2001م، ط1، تحقيق: محمد عوض مرعب
- الاسماعيلي، أبو بكر أحمد بن إبراهيم(371هـ) اعتقاد أئمة الحديث، دار العاصمة - الرياض(1412هـ) ط1، تحقيق: محمد عبد الرحمن الخميس.
- الأصبهاني، ابو نعيم احمد بن عبدالله(ت430)، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي - بيروت، (1405)، ط4.
- الأوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الأندلسي: أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت328هـ)، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي - بيروت(ت1420هـ-1999م)، ط3.
- أيوب، حسن: السلوك الإجتماعي في الإسلام، دار السلام: مصر، القاهرة، 1428هـ -2007م، ط4
- أبو الحجاج، مجاهد بن جبر المخزومي،(ت104هـ) تفسير مجاهد، المنشورات العلمية - بيروت، تحقيق: عبد الرحمن الظاهر - محمد السورتي.
- أبو حيان، علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر. دار صادر، بيروت — لبنان، 1419هـ -999م، ط4، تحقيق: د، و داد القاضي.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية - لبنان — بيروت 1422هـ -2001م، ط1، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق (1) د. زكريا عبد المجيد النوقي (2) د. أحمد النجولي الجمل
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت275هـ) سنن أبي داود، دار الفكر — بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد

أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت951هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (ت: 951هـ) دار إحياء التراث العربي: بيروت.

أبو هلال العسكري، الحسين بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، المكتبة العصرية - بيروت (1406هـ - 1986م)، تحقيق: علي محمد الببجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجبل - بيروت (1412هـ)، ط1، تحقيق: علي محمد الببجاوي.

ابن الأزرق، (ت569هـ)، بدائع السلك، وزارة الإعلام - العراق، ط1، تحقيق: د علي سامي النشار.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد، (ت281هـ)، الإخلاص والنية.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد (ت281)، صفة الجنة.

ابن أبي طالب، علي بن عبد المطلب بن عبد مناف بن هاشم بن مناف، ديوان علي بن أبي طالب، دار الكتاب العربي - بيروت (1424هـ - 2004م) ط9.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (ت728هـ) - الصدفية، دار الفضيلة - الرياض (1421هـ - 2000م)، تحقيق: محمد رشاد سالم.

ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم ، (ت 728هـ)، مجموع الفتاوى. مكتبة ابن تيمية ، ط2 ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم ، درء تعارض العقل والنقل، دار الكتب العلمية - بيروت (1417هـ - 1997م)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم ، الإستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة - 1403، ط1، تحقيق : د. محمد رشاد سالم

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني، **توحيد الألوهية**، مكتبة ابن تيمية ، ط2 ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، **حقائق التفسير**، مؤسسة علوم القرآن - دمشق ( 1404هـ - 1984م) ط2، تحقيق: د.محمد السيد.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، **الجواب الصحيح**، مطبعة المدني - مصر، تحقيق: علي سيد صبح المدني.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ) **كشف المشكل**، دار الوطن - الرياض (1418هـ - 1997م)، تحقيق: علي حسين البواب.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دار صادر - بيروت - 1358هـ، ط1

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، **زاد السير في علم التفسير**، دار الفكر - بيروت (1407هـ - 1987م) ط1، تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، **التبصرة** ، دار الكتاب المصري — دار الكتاب اللبناني، مصر — لبنان (1390 — 1970) ط1، تحقيق: د.مصطفى عبد الواحد.

ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، مؤسسة الرسالة، بيروت ( 1404هـ - 1984م) ط1، تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. دار المعرفة — بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **تغليق التعليق**، المكتب الإسلامي، دار عمار — بيروت، لبنان (1405هـ) ط1، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى الفزقي.



ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة  
قرطبة \_\_\_\_\_ مصر

ابن حميد، ابن ملوح، صالح بن عبد الله، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، موسوعة نضرة  
النعم في أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم .

ابن راهوية، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي (238هـ) مسند إسحاق ابن راهوية، مكتبة  
الأيمان\_ المدينة المنورة (1412هـ\_1991م) ط1، تحقيق: د. عبد الغفور البلوشي.

ابن زنين، أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت399هـ)، تفسير ابن زنين، الفاروق الحديثة -  
مصر (1423هـ -2002م) ط1، تحقيق: حسن بن عكاشة.

ابن سيده المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت458هـ) المحكم والمحيط الأعظم (دار الكتب  
العلمية - بيروت (2000هـ)، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1284هـ) تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع -  
تونس (1997م).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد (ت463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجبل -  
بيروت (1412هـ)، ط1، تحقيق: علي محمد البجاوي.

ابن العربي، ابوبكر محمد بن عبد الله (543هـ)، أحكام القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان،  
تحقيق: محمد عبد القادر عطا

ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (546هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار  
الكتب العلمية - بيروت (1413هـ - 1993م) ط1، تحقيق: عبد السلام محمد.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الجبل - بيروت 1393 -  
1972، تحقيق: محمد زهري النجار

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت774هـ) تفسير القرآن العظيم، دار الفكر - بيروت -

1401هـ

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تلخيص كتاب الاستغاثة.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، (ت263هـ)، الأدب الفرد، دار البشائر الإسلامية - بيروت (1049-1989)، ط3، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير ————— اليمامة —————  
بيروت ————— 1407هـ 1987م ، ط3 ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا

البصري، محمد بن علي بن الطيب (ت436هـ) المعتمد في أصول الفقه، دار الكتب العلمية - بيروت (1403)، ط1، تحقيق: خليل الميس.

البغوي، عبد الله بن احمد بن محمود (ت516هـ) تفسير البغوي، دار المعرفة - بيروت  
1408هـ، 1989م، ط1، راجعه الشيخ ابراهيم محمد رمضان

البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر (ت855هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب  
العلمية - بيروت (1415هـ - 1995م)، تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي.

البيطار، عبد الرزاق حسين بن إبراهيم (ت1335هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دار  
صادر ————— بيروت ( 1413هـ ————— 1993م) ط2، تحقيق: محمد بهجت البيطار.

البيضاوي، ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي، (ت 791هـ )، تفسير البيضاوي، دار  
الفكر - بيروت، 1416هـ، 1996م ، تحقيق الشيخ عبد القادر عرفان.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخُسْرُوْجِرْدِي الخراساني، (ت458هـ) دلائل النبوة،

البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد (ت565هـ)، لباب الأساب والألقاب والأعقاب.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِرْدِي الخراساني، (ت 458هـ) البعث  
والنشور.

- البیهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجِردِي الخراساني، (ت458هـ) سنن البیهقي الکبری، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - 1414هـ - 1994م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا
- الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين (ت320هـ) (الامثال من الكتاب والسنة، دار ابن زيدون - بيروت - دمشق، تحقيق: د السيد الجميلي.
- الترمذي، محمد بن علي بن الحسين، نوادر الأصول في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الجبل - بيروت، (1992م) تحقيق: عبد الرحمن عميرة.
- الثعالبي، احمد بن محمد النيسابوري، (ت427هـ)، تفسير الثعلبي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (1422هـ - 2002م)، ط1، تحقيق: أبي محمد بن عاشور.
- الجرجاني، عبد القاهر، (ت471هـ)، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي - بيروت، (1415هـ - 1995م)، ط1، د. التتجي.
- الجبصان، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت321هـ) مختصر اختلاف العلماء، دار النشر الإسلامية - بيروت (ت1417هـ) ط2، تحقيق: د. عبد الله نذير احمد.
- الحاشدي، أبو عبد الله فيصل بن عبده، فن الحوار أصوله وآدابه، صفات المحاور، دار الإيمان الاسكندرية.
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت405هـ)، المستدرک علی الصحیحین. دار الكتب العلمية - بيروت - 1411هـ - 1990م، ط1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا
- حكيم، حافظ بن أحمد (ت1377هـ)، معارج القبول، دار ابن القيم - الدمام، (1410-1990م)، ط1، تحقيق: عمر بن محمود.
- الخاتمي، محي الدين بن علي بن محمد الطائي (ت638هـ) الفتوحات المكية، دار إحياء التراث العربي - بيروت (1418هـ - 1998م) ط1.
- الخانز، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم (ت725هـ) لباب التاويل في معاني التنزيل، دار الفكر - بيروت (1399هـ - 1979م).

د. خليفه: محمد محمود: مع الإيمان في رحاب القرآن،. مكتبة النهضة العربية: مصر، القاهرة، ط1، 1980م.

هناد، الكوفي بن السري(ت243هـ)، الزهد لابن السري، دار الخلفاء الكتاب الإسلامي - الكويت(1406هـ)، ط1، تحقيق: عبد الحمين الفربوائي.

ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي(ت751هـ) الفوائد، دار الكتب العلمية - بيروت(1393هـ -1973م)، ط2.

ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، دار المعرفة - بيروت(1395هـ - 1975م)، ط2، تحقيق: محمد حامد الفقهي.

الديلمي، شيرويه بن شهر دار بن شيرويه الهمذاني(ت509هـ) الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية - بيروت(1406هـ - 1986م) ط1، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغول.

ديماس، محمد راشد ، فنون الحوار و الإقناع، دار ابن حزم(1420هـ -1999م) ط1 .

الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس(ت327هـ)، تفسير ابن أبي حاتم ، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

الرازي، محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر،(ت721هـ) مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت(1415هـ -1995)، تحقيق:محمد خاطر .

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين(ت606هـ) المحصول في علم الأصول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض(1400هـ) ط1: تحقيق طه جابر فياض العلواني.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد سيد الكيلاني.

- الرؤاسي، وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي(ت197هـ) الزهد، دار الصمعي ————— الرياض،  
السعودية(1415هـ ————— 1994م) ط2، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية ،  
تحقيق: مجموعة من المحققين
- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب(ت751هـ) ، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، دار المعرفة -  
بيروت - 1395هـ - 1975م، ط2 ، تحقيق : محمد حامد الفقي
- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب (ت751هـ) طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار ابن القيم -  
الدمام ( 1414هـ -1994م) ط2، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر .
- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب (ت751هـ)، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي - بيروت  
(1393هـ -1973م) ط2، تحقيق: محمد الفقي.
- الزرعي، محمد بن أبي بكر بن أيوب(ت751هـ) إعلام الموقعين، دار الجيل - بيروت - 1973،  
تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد
- الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب (ت751هـ) مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية — بيروت.
- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف، (ت 1122) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار  
الكتب العلمية - بيروت(1411هـ)، ط1.
- الزمخشري: أبو قاسم محمود بن عمر بن الخوارزمي(ت538هـ) أساس البلاغة، دار الفكر -  
بيروت(1399هـ -1979م).
- الزمخشري، محمد بن عمر الخوارزمي(ت 538هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل  
في وجوه التأويل،: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي
- السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز(ت330هـ) غريب القرآن، دار قنينة(1416هـ - 1995م)،  
تحقيق: محمد أديب عبد الواحد عمران.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت1376هـ)، تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت (1421هـ - 2000م)، تحقيق: ابن عثيمين.

السعدي، أبو القاسم علي بن جعفر (ت515هـ)، الأفعال، عالم الكتب - بيروت 1403هـ - 1983م ، ط1.

السلمي، محمد بن حسين بن موسى (ت412هـ) خصائص التفسير، دار الكتب العلمية - بيروت (1421هـ - 2001م)، ط1، تحقيق: سيد عمران.

السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (ت367هـ)، بحر العلوم، دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ، أسماء المدلسين، (ت911هـ) الوكالة العربية للتوزيع والنشر — عمان، الأردن.

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت911هـ)، الدرر المنثور، دار الفكر - بيروت (1993).

السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت911هـ)، جامع الأحاديث. الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير.

قطب، سيد بن الحاج بن قطب بن إبراهيم ، في ظلال القرآن، دار الشروق — القاهرة (1421هـ — 1992م) ط17.

قطب ، سيد بن الحاج بن قطب بن إبراهيم معالم في الطريق ، دار الشروق — بيروت، 2006م، ط 2 .

الشافعي، محمد بن إدريس (ت204هـ)، الأم، دار المعرفة - بيروت (1393)، ط21.

الشافعي ، محمد بن إدريس ( 204هـ) أحكام القرآن للشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت (1400هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (ت1393هـ)، أضواء البيان، دار الفكر - بيروت (1415هـ - 1995م)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر - بيروت.

الشيبياني، محمد بن الحسين (ت189هـ)، الكسب، دار النشر: عبد الهادي حرصوني - دمشق (1400هـ - ) تحقيق: د. سهيل زكار.

صالح، ألاء جهاد فوزي، رسالة ماجستير بعنوان الإعراض ونظائره في القرآن الكريم "دراسة موضوعية" كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية - غزة (1431هـ - 2010م).

الصحاري، سلمة بن مسلم بن إبراهيم (ت511)، الأنساب للصحاري.

الصنعاني، عبد الرازق بن همام (ت211هـ) تفسير القرآن، مكتبة الرشد - الرياض (1410هـ) ط1، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.

الضحاك، أحمد بن عمر الشيباني (ت287هـ) الأحاد والثاني، دار الراية: الرياض (1411هـ - 1991م)، ط1، تحقيق: د. باسم فيصل الحويرة.

الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد، (ت360هـ) المعجم الأوسط، دار الحرمين - القاهرة (1415)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن (ت360هـ) المعجم الكبير، مكتبة الزهراء - الموصل (1404هـ - 1983م) ط2، تحقيق: حمدي السلفي.

الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت310هـ). جامع البيان عند تأويل اي القرآن ، دار الفكر: بيروت. 1405 هـ.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت310هـ)، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت.

- الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد (ت694هـ) الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الغرب الإسلامي - بيروت (1996م)، ط1، تحقيق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري.
- الطحاوي، أبو جعفر (ت339هـ)، متن العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي - بيروت (1398هـ - 1978م)، ط1، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
- الطريفي، عبد الله بن إبراهيم، فقه التعامل مع المخالف، دار الوطن - الرياض، (1415 هـ) ط1.
- الطيالسي، سليمان بن داود البصري (ت204هـ)، مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت1162هـ) كشف الخفاء، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط4، تحقيق: أحمد القلاش.
- عرجون: محمد الصادق إبراهيم. محمد رسول الله ﷺ، : دار القلم: دمشق، ط1، ج1، 1405هـ - 1985م،
- العز بن عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز السلمي (ت660هـ)، تفسير القرآن، اختصار النكت، دار ابن حزم - بيروت (1416هـ - 1996م)، ط1، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، (ت855هـ) عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ) سر العالمين وكشف ما في الدارين، دار الكتب العلمية - بيروت (1424هـ - 2003م)، ط1، تحقيق: محمد حسن محمد، أحمد فريد المربدي.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، الإسلام والطاقت المعطلة.
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت173هـ - 789م)، العين، دار ومكتبة الهلال تحقيق: المهدي المخزومي - د. إبراهيم السامرائي.
- الفيروزآبادي، (ت817هـ) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية - لبنان



- القاري، علي بن سلطان بن محمد(ت1014هـ) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الكتب العلمية - بيروت(1422هـ -2001م)، ط1، تحقيق: جمال عيتاني.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري،(ت671هـ) **الجامع لأحكام القرآن**، دار الشعب - القاهرة.
- القرظيني، الخطيب(ت939هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، دار إحياء العلوم - بيروت(1419هـ -1998م)، ط4، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي.
- القمي، نظام الدين الحسين بن محمد بن حسين (ت 728هـ)، **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، دار الكتب العلمية - بيروت (1416هـ - 1996 م)، ط1، تحقيق: الشيخ زكريا عمران.
- الكتاني، عبد الحي(ت1382هـ) **التراتيب الإدارية**، دار الكتاب العربي - بيروت.
- الكرماني، محمد بن حمزة بن نصر(ت505هـ) **أسرار التكرار في القرآن**، دار الإعتصام - القاهرة (1396هـ) ط2، تحقيق: عبد القادر احمد عطا.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب موسى بن الحسيني(ت1094هـ)، **الكتليات**، مؤسسة الرسالة - بيروت(1419هـ -1998م)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
- الكلبي، محمد بن محمد الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي، لبنان(1403هـ -1983م)، ط4.
- اللاكائي، هبة الله بن الحسين بن منصور (ت 418هـ)، **اعتقاد أهل السنة**، دار طيبة - الرياض ( 1402هـ)، تحقيق: د. احمد سعد حمدان.
- الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب المصري البغدادي(ت450هـ) **أدب الدنيا والدين**.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي(ت 450هـ) **الحاوي الكبير**، دار الكتب العلمية - بيروت(1419هـ - 1999م) ط1، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري(ت450هـ) **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

مجاهد، بن جبر المخزيعي الناسعي ابو الحجاج، تفسير مجاهد، المنشورات العلمية - بيروت، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر، محمد السورتي.

المحاسبى، الحارث بن أسيد بن عبد الله (ت243هـ) فهم القرآن ومعانيه، دار الكندي - دار الفكر - بيروت (1398هـ)، ط2، تحقيق: حسين القوتلي.

المحاسبى، الحارث بن أسيد بن عبد الله (ت243هـ) ، رسالة المسترشدين.

المحاسبى، الحارث بن أسيد بن عبد الله (ت243هـ) آداب النفوس، دار الجبل - بيروت (1984م)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.

المحلي، محمد بن أحمد، ، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ، تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، ط1.

المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت346هـ) مروج الذهب، دار الفكر — بيروت (1417هـ) — (1997م) ط1، تحقيق: سعيد محمد اللحام.

مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم - دمشق (1430هـ -2009م)، ط7.

مصطفى، إبراهيم — زيات، أحمد، — عبد القادر، حامد — نجار، محمد، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

المعز التميمي، محمد بن ناصر بن عثمان (1225)، الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر — بيروت (1998م) ط1.

- المنوي، عبد الرؤوف (ت1031هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر (1356هـ) ط1.
- النحاس، (ت338هـ)، معاني القرآن الكريم، جامعة أم القرى - مكة المكرمة (1409هـ)، ط1، تحقيق: محمد علي الصابوني.
- النسفي، ابو البركات عبدالله بن احمد بن محمود (ت710هـ) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار القلم \_\_\_\_\_ بيروت (1408هـ \_\_\_\_\_ 1989م) ط1، راجعه وضبطه: الشيخ إبراهيم محمد رمضان.
- النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا (ت390هـ) الجليس الصالح والأنيس الناصح.
- النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن حزى (ت676هـ) صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (1392هـ، ط2).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (ت676هـ)، بستان العارفين، دار ابن حزم - بيروت (1424هـ - 2003م)، ط1، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733) نهاية الأدب في فنون الأدب. ط1، تحقيق: مفيد قمحية.
- ابن الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد المصري (ت815 هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، دار الصحابة للتراث - مصر (1400هـ - 1992م)، ط1، تحقيق: فتحي أنور الدايلوي.
- الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الكتب العلمية: بيروت (1419هـ - 1998م) ط1، تحقيق: محمود عمر الدمياطي.
- الهيثمي، ابن حجر (ت973) الزواجر عن اقتراف الكبائر، المكتبة العصرية - لبنان - صيدا - بيروت (1420هـ - 1999م) ط2، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدار الشامية - دمشق - بيروت، ط1، تحقيق: صفوان عدنان داودي.
- الواقدي، أبو عبد الله بن عمر (ت207هـ) فتوح الشام، دار الجبل بيروت.
- اليمني، نشوان بن سعيد الحميري، (ت573 هـ)، خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك

النباي

**An- Najah National University  
Faculty of Graduate Studies**

**"Acceptance and rejection in the Holy Quran"**

**By  
Naser Fiad Mohemad Jalooly**

**Supervised by**

**Dr. Khader Sawandak**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic law (Usol Al-Din) , Faculty of Graduate Studies An- Najah National University, Nablus, Palestine.**

**2013**

# **"Acceptance and rejection in the Holy Quran"**

**Prepared By**

**Naser Fiad Mohemad Jalooly**

**Supervised By**

**Dr. Khader Sawandak**

## **Abstract**

This study clarifies the subject of the response and ignorance in the Holy Quran by analyzing the verses of the Holy Quran. The study consist of three chapters, introduction and conclusion .

The introduction discusses the importance of the study during the emergence of its value when taking about the response and its influence on the life in addition to the high position in the life after . On the other hand, it included the disadvantages of the ignorance and its punishment in the recent life and in the life after. Chapter one which is an introductory one includes the connotative and denotative definition of the response and ignorance , the juridical use of the two terms, foresight of the response and its rules.

Chapter two which is about the response in the presentation of the Holy Quran contains the ignorance in the presentation of the Holy Quran . The references of the study were limited to the Holy Quran, interpretation , tradition books and moral books.

Several results have been concluded at the end of the study included the following :

- The response is must.
- Innocuous behaviors resulted from response are for God ( Glorify be to Him).
- The various kinds of responses .
- The resource of ignorance is the deprived sector.
- The reasons for ignorance are arrogance and life preference .
- The results of the ignorance in the recent life and the life after.

This document was created with Win2PDF available at <http://www.win2pdf.com>.  
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.  
This page will not be added after purchasing Win2PDF.